هل للمسيحيين مستقبل في الشرق الأوسط؟

بيت المستقبل - سرايا بكفيا

١٤-١٥ تشرين الثاني/نوفمبر، ٢٠١٨

في خضم التغييرات السياسية والاجتماعية والثقافية والديمغرافية التي تعصف بمنطقة الشرق الأوسط، وفي ظل التفكك الذي تعانيه بعض دوله والذي تجسد بانهيار الدولة الوطنية واستفحال ظاهرة التنظيمات الخارجة عن الدولة لا سيما المتطرفة والعنفية منها، بدأت تظهر على السطح بوادر تفاقم مشاكل قديمة جديدة لعل أهمها مشكلة الأقليات في المنطقة والقمع الذي تتعرض له. ويعكس الاهتمام بهذا الموضوع جسامة ظاهرة جديدة وهي الدور الكبير الذي باتت تلعبه الانتماءات الفرعية في تشكيل الهوية وذلك على حساب الانتماء الوطني. وفي هذا الإطار، تبدو آفاق بقاء المسيحية في مهدها، الشرق الأوسط، قاتمةً، إذ كان العقد الماضي من الزمن كارثياً بالنسبة إلى المسيحيين في العالم العربي كما بالنسبة إلى كل الأقليات الأخرى. فما هو واقع مسيحيي الشرق الأوسط اليوم، وأي مستقبل ينتظرهم في منطقة يُعاد بناؤها وفقاً لعقائد متطرفة وعنفية؟

عقد "بيت المستقبل" و"مركز ولفريد مارتن سنتر للدراسات الأوروبية" و"مجلس كنائس الشرق الأوسط" و"مركز القدس للدراسات السياسية" مؤتمراً لمناقشة مستقبل المسيحيين في الشرق الأوسط، ضم نخبة من الناشطين السياسيين والمثقفين ورجال الدين من الأردن ومصر والعراق وسوريا وفلسطين ولبنان.

افتتح الرئيس **أمين الجميّل** المؤتمر بكلمة أكد فيها أن "ما أصاب المسيحيين جراء أحداث السنوات الأخيرة، أصاب المسلمين أيضاً! بل ما تعرض له المسلمون قد يكون أشد قسوة. إنما الأثر الذي أصاب المسيحيين أكبر لأن النتائج أدت في أماكن كثيرة إلى اقتلاعهم حتى بات وجودهم على المحك". وحول سؤال عما إذا كان الوجود المسيحي في المنطقة هو عنصر وجودي وضروري أم أنّه عابر وعرضي، قال إن "المسيحي لم يكن يوما عنصر عرقلة أمام طموحات وأهداف الإسلام العربي بل كان مكملاً وداعماً ومروجاً".

وسأل إذا كانت بصمات التجارب المرّة التي عاشها العالم العربي خلال القرن المنصرم وخلال العقد الأخير من هذا القرن إيجابيةً أم سلبيةً؟ وهل تغيّر شيء لدى المسلم وهل الدروس كانت كافية؟ هل المسيحيون يقومون بدورهم الروحاني والوجداني في مجتمعهم وكيف يمارسون وجودهم فيها؟ ما هي قراءة المسلمين لهذه القضية؟ هل يعتبرون المسيحية إضافة وإغناءً للإسلام أم نقيضاً له، علماً أن المسيحيين لم يكونوا طرفاً في النزاعات الدائرة في المنطقة ولا كانوا عنصر إثارة فتنة.

وختم متوجهاً إلى المسيحي والمسلم في المنطقة بالقول "متى تترسخ القناعة بالمواطنية وتصبح الشعارات حقيقة ولا يعود الانتماء الديني والهوية الدينية فوق الهوية الوطنية أو إضافة لها أم انتقاصاً منها؟ عندها تسقطُ مقولةُ الأقلية والأكثرية المبنية على الهوية الطائفية وتكون بداية الخلاص".

وأخذت الكلام السيدة **ثريا بشعلاني**، الأمينة العامة لمجلس كنائس الشرق الأوسط، وقالت إن عنوان

المؤتمر حثها على طرح الموضوع الذي يتناوله من زاوية أخرى والسؤال إذا كان "للشرق الأوسط مستقبل دون مسيحييه؟". وأضافت أن مستقبل المسيحيين لا يرتبط بوجودهم كأفراد وكنائس بل يتخطى ذلك إلى معنى دعوتهم وفحوى رسالتهم وهم الذين يتميزون بما يفرضه عليهم دينهم من التزام بالإنسان وبقضايا شعوب هذه المنطقة. وتابعت: "بمقدار ما يساهم المسيحيون في هذه المنطقة بسعادة الإنسان يسعون إلى بلوغ الغاية الثانية وهي الشركة مع الله". وأكدت أن الحاجة الى مقاربة موضوع وجود المسيحيين في المنطقة باتت ملحة، ولا بد من السعي إلى التفكير بما آلت اليه حال الإنسان في الشرق ولا سيما العالم العربي وبلورة خريطة طريقة تعيد له كرامته المستباحة وتحقق الاستقرار والسلام من خلال التأثير على السياسات العامة. وتحدثت عن بعض الثوابت التي يتمسّك بها مجلس كنائس الشرق الأوسط ويبني عليها خطّة عمله الاستراتيجيّة وهي:

- التخلي عن منطق الاكثرية والاقلية فيما يتعلق بمسيحيي الشرق الاوسط والتمسك بدورهم الفاعل والأساسي في الماضي والحاضر والمستقبل، وهم ليسوا بحاجة الى حماية أحد لأنهم شركاء نديون لإخوانهم في المنطقة.
- لا يمكن للمسيحيين الانعزال عن مكونات الوطن الأخرى لأنّ بناء جسور المحبّة والحوار والعيش المشترك أمرٌ ملازم لالتزامهم بإيمانهم المسيحي.
- يرفض المسيحيون العنف وينبذون التطرف ويعملون على استنهاض تراثهم اللاهوتي لمحاربة هاتين الآفتين.
- اختار المسيحيون العيش مع أقرانهم في الوطن الواحد ضمن دولة تسود فيها مبادئ الديمقراطية والعدالة والمساواة وتحت مظلة سيادة القانون.
- تبقى فلسطين المحتلة وإحقاق العدالة لشعبها وتأمين عودة اللاجئين وقيام دولة فلسطينية عاصمتها القدس مسألة أولية.

عن مركز ولفريد مارتن سنتر للدراسات الأوروبية ألقى **فيت نوفوتني** كلمة أكد فيها أنه لطالما حاول المركز تسليط الضوء على الوضع الصعب للمسيحيين في منطقة الشرق الأوسط. وقال إن الاتحاد الأوروبي يواجه اليوم عدداً كبيراً من التحديات أبرزها تصاعد الشعبوية لأسباب عدة أولها الأزمة الاقتصادية وموجات الهجرة المتفاقمة والتي فاجأت العديد من الدول الأوروبية وصعوبة دمج الأعداد الكبيرة من اللاجئين ما خلق خوفاً مستجداً في أوروبا.

وأخذ الكلام الأستاذ عريب الرنتاوي، مدير مركز القدس للدراسات السياسية، وقال "لا شك أننا جميعاً نتشاطر القناعة ذاتها بأن مسيحيي بلداننا قد تعرضوا لصنوف شتى من التمييز والاستهداف، أدناها التمييز في الدساتير والتشريعات والممارسات، وأشدها هولاً حروب الإبادة والتهجير المنهجي من قبل جماعات دينية متطرفة عنيفة ... ولا شك أننا جميعاً، نتشاطر القناعة ذاتها، بأن من المحال استمرار الحال على هذا المنوال. فهذه المنطقة، لن تكون ذاتها دون مسيحييها". وتحدث عن مجموعة من الخلاصات توصل إليها نتيجة لدراسة ظاهرة التمييز ضد شرائح ومكونات دينية وعرقية واثنية في العالم العربي لا سيما المسيحيين منهم، أهمها، فشل الدولة الوطنية العربية في بناء "دولة المواطنة المتساوية" المدنية الديمقراطية التعددية، وتباين درجة اعتراف الدساتير والتشريعات السارية في عدد من الدول العربية بحقوق المسيحيين وحرياتهم أفراداً وكنائس وجماعات، محاولات البعض توصيف مسيحيي المنطقة كقوة سلبية وأحياناً كظهير خلفي لأنظمة الفساد والاستبداد، ومحاولات الجهات المتطرفة والإقصائية النظر إلى مسيحيي المنطقة بوصفهم "أقليات ثانوية"، أو "جاليات وافدة" أو جيوباً وبقايا للاستعمار والحملات الصليبية أو "أهل ذمة"، وهي "محاولات تسير جنباً إلى جنب مع محاولة أخرى للترويج لنظرية "حلف الأقليات، المنبثقة من رحم الاستبداد وثقافته وفزّاعاته".

إضافة إلى ذلك، تحدث عن ظاهرة عدم التسامح التي باتت سمة المجتمعات العربية لا سيما في العقود الثلاثة الأخيرة نتيجة لمفاعيل "ثنائية الطغاة والغلاة". وتابع: "في الوقت الذي نتحدث فيه عن تحديات ومخاطر تواجه مستقبل مسيحيي المنطقة، لا بد من الاعتراف بوجود مظاهر خلل واختلال داخل المجتمعات المسيحية ذاتها، منها ما يتعلق بانقساماتها العميقة البالغة ضفاف الاحتراب، ومنها ما وصفته بعض التقارير بالفجوة القائمة بين الكنيسة ورعيتها، خصوصاً الأجيال الشابة منها، ومنها كذلك، ما يتعلق بتنامي اتجاهات متطرفة وانعزالية في أوساطها، الأمر الذي يستوجب حث القادة السياسيين والروحيين لهذه المجتمعات، العمل على بذل أكبر الجهود، لتفادي الوقوع في دائرة الفعل وردة الفعل، أو الرد على التطرف بتطرف مقابل، من منطلق الإيمان العميق، بأن مجابهة التحديات التي تعترض مسيحيي المنطقة، إنما يكون في إطار وطني – ديمقراطي جامع". وحذر من الميل السائد لدى بعض الدول الغربية لتهجير المسيحيين، داعياً إلى تثبيتهم في أوطانهم الأصلية.

وختم بالتأكيد أن "لا حل مسيحياً لمشكلات المسيحيين"، فطريق الحل يتجلى في انخراط شعوبنا ومجتمعاتنا، بكافة قواها الحيّة، في النضال السلمي من أجل نشر قيم الديمقراطية والتعددية واحترام ثقافة حقوق الإنسان، وبناء الدولة الحديثة، المدنية – الديمقراطية التي تقف على مسافة واحدة من جميع مواطنيها" على تعدد مشاربهم.

بدأت الجلسة الأولى تحت عنوان **"الدين والقبلية تحديات الهوية العربية"** بتعريف منسقها سامح مكرم عبيد بالمتحدثين فيها، وهم الدكتورة لميا شحادة، أستاذة جامعية سابقة وكاتبة وباحثة، والأب باسم الراعي، استاذ جامعي وباحث، وجورج صبرا رئيس كلية اللاهوت للشرق الأدنى واستاذ اللاهوت النظامي. وقال عبيد إن العديد من المصريين من أبناء الوطن المصري يؤمنون أن الولاء الأول هو لمصر وليس للدين. وأضاف "نحن أولاد ثورة يناير" التي قالت إن الدين لله والوطن للجميع، نحن أولاد الدولة الحديثة التي تقف على الحياد بين أبناء الوطن الواحد. وإذ أكد أن الوطن هو للجميع، قال إن ما يزعج عند مقاربة موضوع المسيحيين في العالم العربي ليس مفهوما الأقلية والأكثرية لأنهما يعبران عن عددية معينة، بل الحديث عن الشراكة في الوطن. وتابع: "نحن كمسيحيين لسنا شركاء، بل نحن جزء من وطننا". ورداً على السؤال الذي يطرحه المؤتمر قال: "نعم للمسيحيين دور في الشرق الأوسط مستقبلاً كما كان لهم دور في الماضي. اعتقد أن المهم هو التأكيد على المواطنة وقيام الدولة الوطنية الحديثة وتحديث الدساتير، مؤكداً أن مقولة حماية الاستبداد للأقليات هي مقولة خاطئة.

بدأت الدكتورة **لميا شحادة** مداخلتها بالقول إنه عندما نتحدث عن الوطن والدولة الوطنية نتحدث عن مبادئ أساسية أهمها المواطنة ودمج المكونات على اختلافها. ولكن ما شهدناه مؤخراً في هذه المنطقة يناقض ذلك لجهة إعادة إحياء الهوية الدينية على حساب الهوية الوطنية.

وانتقلت إلى تعريف بعض المصطلحات الفقهية في الإسلام والتي تلقي الضوء على العلاقة بين المسيحيين والمسلين، أولها مصطلحي دار الإسلام التي يحكمها مسلمون ودار الحرب التي يحكمها غير المسلمين وما يستتبع ذلك من حرب بين الدارين. المصطلح الثاني هو مصطلح الأمة، ويعني مجموعة من أفراد يربط بينهم رابط الدين وليس رابط الدم أو القربى أو القبلية. فجميع المسلمين أخوة بالدين وهدفهم هو تطبيق الشريعة الإسلامية. وليس للأمة في الإسلام حدود إذ أن الإسلام كالشيوعية تماماً عابر للحدود. المصطلح الثالث هو أهل الكتاب، وهم جماعة تعيش في الدولة ولكن أفرادها مجردون من حقوقهم السياسية والاجتماعية ويسددون الجزية مقابل العيش بأمان ويطلق عليهم اسم الذميين وهو مصطلح يأتي من الذمة

أي الولاء مقابل الأمن. ولأن الجزية كانت غالباً مرتفعة جداً، عمد الكثير من المسيحيين عبر التاريخ إلى اعتناق الإسلام.

وعن تاريخ العالم العربي الحديث تحدثت عن النهضة التي شهدها في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين. شهد لبنان خلال هذه الفترة نشوء أحزاب علمانية أبرز قادتها كانوا من المسيحيين ومعظمهم من الروم الارثوذكس الذين كانوا يعيشون في المدن. لم يكن الموارنة تحت رعاية المسلمين لأنهم لجأوا الى شمال لبنان ولطالما حاولوا تأسيس دولة مستقلة ولعبوا دوراً كبيراً في تأسيس دولة لبنان كما في نشر المسيحية. بعد النهضة العربية، أسس حسن البنا الأخوان المسلمين في مصر عام ١٩٢٩ ما أدى الى بروز جماعات اعتنقت عقائد أكثر تطرفاً دعت للعودة إلى الاسلام الأصولي انتهجت هذه الجماعات العنف لا سيما ضد أتباع الديانات الأخرى. وأضافت أنه في بعض الدول الإسلامية، لا يتمتع المسيحيون بحقوقهم المدنية والسياسية كما لا يدفنوا في أرض إسلامية ولا يحق لهم الأكل والشرب خلال شهر رمضان وتجبر المسيحيات على ارتداء النقاب. فأين الديمقراطية؟

وتابعت أنه مع تحول العالم إلى قرية كونية بسبب التكنولوجيا الحديثة، بات المسيحيون يشهدون على كل التمييز الجاري بحقهم في جميع أقطار العالم العربي لا سيما مع عودة الأصولية الإسلامية. وعلى أساس ما ذكر من المعتقدات الأساسية للإسلام كمفهوم الأمة حيث الولاء للدين وليس للوطن ومفهومي دار الإسلام ودار الحرب، تم باسم ذلك التمييز ضد المسيحيين، وإذا استمر ذلك، "لا أرى لهم مستقبلاً في الشرق الأوسط". وختمت بالاستشهاد بقول محام مسيحي سوري عام ١٩٩٦: "ضمتني سهرة مع بعض الأصدقاء خلال العدوان الثلاثي وقال أحدهم إن المسيحيين لن يكونوا في يوم من الأيام وطنيين حقاً، فالوطنية أبت أن تتنصر وإن هذه البلاد ليست بلادهم فليرحلوا عنا. فقلت له إنني في هذه البلاد قبل الفتح الإسلامي، وهي لي ولن أغادرها حتى ولم يبق فيها مسيحي واحد ولدي من الوطنية ما يفوق ما لديك ولدى اجدادك".

وأخذ الكلام الأب باسم الراعي، وقال إن "المزاج اليوم في العالم هو مزاج عودة القبلية" وما يجري في العالم لا سيما في أوروبا خير دليل على ذلك البريكست في بريطانيا والحديث الفرنسي المستمر عن أمن الحدود الفرنسية وتصاعد الشعبوية وانتشار اليمنية في دول أخرى، إضافة إلى عودة الغلبة للانتماءات العرقية كما حصل في مقدونيا بعد مقاطعة الاستفتاء على تغيير اسمها من قبل من اعتبر أن ذلك يقوض الهوية العرقية للسلاف. كل ذلك يندرج تحت عودة القبلية ولكن ليس بمعنى العصبية عند ابن خلدون. فعودة القبلية تأتي بملامح جديدة أهمها:

- عودة شاملة إلى الخصوصية المحلية والهويات الإثنية والعرقية والدينية. فالقبائل تعود وتحديداً حيث قمعت بشكل عنيف وحرمت من حقوقها السياسية لا سيما في دول الاتحاد السوفياتي سابقا.

- تعزيز قيمة الجماعة لأن الجماعات هي وحدها الموجودة وجوداً فعلياً ولدى أفرادها حقوق متأصلة. فلا يفيد اخضاع الكل لدولة محايدة لها تاريخ واحد، إلا إذا كانت الدولة في الأساس مبنية على الهجرة كأميركا. الحل الناجع هو إجازة الانفصال بما يعطي الجماعة حقها في المشاركة.

- كما قال أمين معلوف، النزعة القبلية الجديدة ترتبط بالدين والسبب يكمن فيما أصاب الغرب وسقوط المجتمع الوطني. في الشرق، تأتي عودة القبلية مع تراجع الأنظمة الاستبدادية وسقوط المشروع القومي إضافة الى العولمة..

وأضاف أن تعدد القبائل في الشرق الأوسط يقف عائقاً أمام محاولة دمجها، والمطلوب هو اتفاق سياسي يؤسس للعيش معاً في دولة، مشبهاً جماعات المؤمنين بقبائل كونية لأنها قادرة على تجاوز الى الحدود.

وأكد أن القبلية أمر لا مفر منه وسيؤدي إلى تغيير في مفهوم الدولة لا سيما في زمن كسوف الدولة الوطنية المدنية والليبرالية. وهذا يعني أن عودة القبلية تتصل بعودة الدين والتحول في مفهوم الدولة وتراجع الدولة الوطنية. وقال إن هذا الأمر لا يعني أن الدولة خسرت معنى وجودها، لكنه يستدعي إعادة النظر بدورها: تبدل مفهوم حدود الدولة، تبدل دور الدولة على صعيد تدخلها الاجتماعي والاقتصادي والسياسي، اعتماد الديمقراطية التشاركية، أي مشاركة كل مكونات المجتمع على أساس أن المجتمع هو أساس الدولة وليس خاضعا لها.

وختم بالقول إن العالم يدخل مرحلة جديدة تحمل معها تحولات في مفهوم الدولة ودورها والشرق ليس بغريب عنها، فدولة دخلت في صيرورة جعلتها تتحول من نموذج إلى آخر كاعتماد الفيدراليات مثلاً والاعتراف بالتعددية وبقدرة الهويات على وضع دساتير تمثلها حقاً.

د. جورج صبرا: "لعب الدين دوراً سلبياً في علاقات البشر ببعضهم البعض واستخدم لغايات سيئة. إلا أن الدين يبقى عنصراً أساس، عكس القبلية التي تخطتها البشرية والربط بين الاثنين يسيء إلى الدين. إن مقولة انبثاق الدين هي مقولة غربية معاصرة لها معناها في ظل التطورات التي حصلت في أوروبا ولا تنطبق علينا في الشرق. في اوروبا، سقطت الموجات الإلحادية والعلمانية وعاد الدين من نوافذ عدة أهمها التوق إلى الروحانيات. كل ذلك لا ينطبق على الشرق الأوسط ولا يصح الحديث عن عودة الدين لأنه لم يذهب لكي يعود". وأضاف: "برهنت الأيام أن مشاريع القومية والعلمانية والالحادية فشلت لأنها لم تستحوذ لا على قلوب الناس ولا على عقولهم ولأنها حاولت القفز فوق الدين، والهوية الدينية مهمة في منطقتنا ولا يجوز النظر الى مكانة الدين عندنا كما ينظر اليها في مناطق اخرى من العالم. إن مركزية الدين ثابتة في هذه المنطقة من العالم وليس من قبيل الصدفة أن تكون الأديان السماوية ولدت فيها وبقيت حية فيها وفي العالم كله. كون منطقتنا مهد الأديان ليس عرضياً بل هو أمر جوهري في وجودنا". وتابع: "ليس بالضرورة العودة إلى نظام الملل العثماني، ولكن لا يمكننا تأمين حقوق المكونات دون الإقرار بمركزية الدين. لا نستطيع تكوين هوية جامعة للمجتمعات دون الاخذ بعين الاعتبار الدين. إن المستقبل الواعد الذي نريده لنا ولشركائنا في أوطاننا لن يتحقق إذا تجاهلنا مركزية الدين في هذه المنطقة من العالم. حيث لم يواكب الدين التطورات السياسية والاجتماعية والثقافية، وجدت العلمانية نفسها في ورطة. أنا مقتنع تماماً بأن لا مستقبل للمسيحيين في الشرق الاوسط ولا مستقبل للشرق الأوسط برمته دون مشاركة الدين في عملية التحول إلى مجتمعات يكون فيها الجميع متساوين، والمسؤولية الأكبر في عملية التحول هذه تقع على عاتق الأكثرية الدينية. يعيش المسيحيون تحت حكم المسلمين وهم في عالم إسلامي والإسلام ليس مجرد دين بالمعنى الضيق بل نظرة متكاملة للحياة". وختم بالقول "إن مصير الإسلام يحدد مصير المسيحين وحيث يذهب المسلمون في المنطقة يذهب المسيحيون. السؤال المصيري هو إلى أين يتجه الاسلام والفكر الإسلامي والمؤسسات الدينية

الاسلامية؟ لا يمكن السير إلى الأمام وتحقيق هوية وطنية إنسانية جامعة والمساواة التامة في مجتمعاتنا دون إشراك الدين في هذا التحول، ودورنا كمسيحيين أن نكون مثالاً في كيفية إشراك الدين في عملية التحول ونساهم مع إخوتنا المسلمين في عملية التحول وبرضاهم وليس ضدهم. المهمة صعبة والمسار طويل لكني لا أرى مستقبلاً للمسلمين والمسيحيين معاً إذا بقيت الأحوال كما هي أو تراجعت إلى الوراء، ويستطيع لبنان لعب دور كبيرا في مسيرة التحول هذه".

في جلسة النقاش طرحت الأسئلة والمداخلات التالية:

الأستاذ وحيد عبد المجيد: "لدي تعليق أول حول مصطلح الإثنية الذي ورد في عنوان الجلسة، فعندما نتحدث عن الإثنية نكون نتحدث عن كل الانتماءات الفرعية التي يولد بها الانسان من دين وعرق ووطن وأمة، إلخ... والمشكلة ليست في تعارض هذه الانتماءات مع بعضها البعض ولكن في ترتيبها. السبب وراء الخلل الذي حصل في العالم العربي في ترتيب هذه الانتماءات وتصدر الدين سلمها، الفشل في بناء دول وطنية. جرت محاولات لبناء هذه الدول في عدد من الدول ولكنها فشلت، لذلك شهدنا تراجع الانتماء الأول الذي ينبغي أن يتصدر الانتماءات وهو الانتماء الوطني، وتقدم عليه الانتماء الديني".

الشيخ غسان الحلبي، مستشار مشيخة العقل الدرزية: "وأنا أسمع التفسير القاموسي للدكتورة شحادة، تداخلت في عقلي مشاهد عدة أولها المؤتمر الذي عقده الأزهر بمشاركة مسيحية كبيرة لتصحيح المفاهيم الإسلامية. المشهد الثاني هو لقاء إمام الأزهر مع قداسة البابا، وكان لقاءاً مهماً لأن خطاب الاثنين شكلا وثيقتين تاريخيتين. ما أريد قوله هو أن ثمة ديناميات متجددة في هذا المجال، وتصب جميعها في رؤية جديدة حول معالجة كل المشاكل العالقة بين الأديان وتخرجنا من القاموس الكلاسيكي للأديان، وبالطبع تقف البراغماتية السياسية والفكرية ضد هذه الديناميات. العمامة اذا لبسها رأس براغماتي سياسي تصبح سياسية وليست دينية! من اجمل ما قاله الرئيس الجميّل في كلمته هو عندما سأل عن الدور الوجداني والروحي للمسيحيين وللمسلمين في هذه المنطقة، وعندما يتحقق هذا الدور يكون للمسيحيين مستقبل فيها".

د.أنطوان طعمة، عميد سابق لكلية التربية في الجامعة اللبنانية: "انطلاقاً من موقعي التربوي، أقول إننا أمام تحدي كبير في عالمنا وهو المواطنة، أي المساواة بين الجميع. فهل نمتلك ما يكفي من الجرأة لننادي بها؟ ليتنا نركز على البحث في وضع دساتير مبنية على المواطنة ونربي الأجيال على هذا المفهوم".

الرئيس الجميّل: "أتوقف على كلام د. صبرا حول ضرورة اعتبار مركزية الدين في معالجة المشكلة التي نتطرق إليها اليوم، وهي مستقبل المسيحيين في الشرق. أوافقه تماماً على طرحه وأكمله بسؤال آخر وهو من هو المحاور لكي نستطيع التقدم؟ الكلام عن مركزية الدين لا يكفي، ولكن لا بد من وجود محاور. فمن هم المحاورون؟ نتمنى أن يكون الأزهر هو المحاور لأنه يظهر اليوم صورة معتدلة جداً عن الإسلام. فهل الأزهر يمثل كل السنة؟ وأين منه الوهابية أو الداعشية؟ حتى عند الشيعة، الخلاف عميق بين الإمامية وولاية الفقيه، فمع من نتحاور عندما نتحدث عن الحوار الإسلامي المسيحي؟ حتى عند المسيحيين هناك تعدد واختلاف. فمن هم المتحاورون؟".

الأستاذ فادي نصر من حركة الشبيبة الارثوذكسية: "لا يمكننا اختصار زمن طويل من العلاقات بين الإسلام والمسيحيين بأحداث معينة أو بفترات تاريخية بسيطة. فكما شهد التاريخ فترات مضطربة في هذه العلاقة شهد أيضاً فترات سلام علينا البناء عليها كما علينا كمسيحيين تحديد ما هو الدور الذي نريد لعبه في هذه المنطقة".

وجه الأستاذ سام منسى، المدير التنفيذي لبيت المستقبل سؤالاً إلى صبرا: "تحدثت عن دور الديمقراطية والحريات والفكر الديني: هل في المؤسسات الدينية أي مساحة للحرية والديمقراطية لكي نعطي للدين هذه المساحة وهذا الدور الكبير؟؟".

مشارك من العراق توجه بملاحظة إلى د.صبرا: "لدي أسئلة سريعة حول مركزية الدين: إن ضعف الحوار بين الأديان وضعف احترام الأديان الأخرى خاصة لدى المكونات الصغرى هو عامل كبير في إثارة النعرات والخلافات الدينية التي تؤثر على المجتمع وتضعف وحدته. الأمر الثاني: لا يزال هناك ضعف في التصدي للأفكار التكفيرية كموقف الأزهر من تكفير الدواعش. الأمر الثالث: لم يتحدث الأخوان عن موضوع دور الدين في الدولة وهذا موضوع أساس: هل هو تدخل أم دور ثقافي واجتماعي؟".

وفي معرض ردهم قال المتحدثون:

د. صبرا: "بالنسبة إلى سؤال الأستاذ منسى أقول إن الأمر يتعلق عن أي كنيسة نتحدث. في الكنيسة الانجيلية هناك مساحة من الحرية. في حال وجود مشكلة لدى الكنائس الأخرى لا بد من قيامها بمراجعة. أوافق مع الأخ العراقي من أن الاستخفاف في دين الآخر مشكلة تثير الفتنة كما عدم إدانة القتلة وتكفيرهم أيضاً خطأ، وهذا يتطلب بدوره مراجعة نقدية لدى الأديان كافة. أنا انسان علماني، ولا أعتقد أن على الدين أن يلعب دوراً في بناء الدولة، ودوره هو دور اجتماعي وثقافي".

الأب الراعي: "هناك غشاء كامل في منطقتنا حول علاقة الدولة والدين والسؤال الذي يجب أن نطرحه هو كيف يكون الدين بناءً وليس عاملاً مخرباً؟"

د. شحادة إلى استاذ فادي نصر: "١٣٠٠ سنة والمسيحية والإسلام يعيشان حياة مشتركة. ما نرفضه هو أن يكون للدولة دين وهو الإسلام وأن يكون المسيحيون أهل ذمة لا يتمتعون بحقوقهم. أعتقد أن الشيخ الحلبي أساء فهمي فأنا قلت أن تعريف القاموس لكلمة أمة بالإنكليزية تعني Nation، وهو أمر مغاير لما تعنيه في الإسلام".

الجلسة الثانية تحت عنوان **"المسيحيون العرب والنزاعات الإقليمية"**، بتعريف منسقها الأب رفعت بدر بالمتحدثين فيها وهم الوزير السابق ومدير مركز عصام فارس للدراسات السياسية في الجامعة الأميركية في بيروت طارق متري والدكتور سعد سلوم، استاذ جامعي في العراق، وأوتمار أوهرينغ، منسق الحوار الديني العالمي، التعاون الأوروبي الدولي- مؤسسة كونراد آديناور.

بدأ **طارق متري** مداخلته بالقول "إننا لا نستطيع البحث في أوضاع المسيحيين الشائكة ما لم نبتعد عن الجنوح إلى التفجع الأقلوي العقيم، أو اللجوء إلى ترداد الخطابة الوطنية. لكن مآسي اليوم، ومعها سياسات الهوية

الدامية، تضع المصائر تحت السؤال. واليوم يرى الكثيرون أنّ القرن الماضي افتتح بآمال كبيرة تحولت الى خيبات ما انفكت تتراكم حتى باتت توازي في قوتها تلك الوعود" وتحدث عن أسباب عدة ومتشابكة وراء اضمحلال الوجود المسيحي في المنطقة وتراجعهم العددي من ربع سكان المنطقة (سوريا ولبنان وفلسطين والأردن) إلى ١٠% اليوم. وأضاف: "كثيراً ما يتجاهل البعض أن نسبة المسيحيين تناقصت تبعاً لفقدانهم التدريجي للأفضلية النسبية في التعليم والصحة والاستقرار الحضري. كما يتجاهل، وإن أقل، التغييرات القيمية المؤثرة في انخفاض معدلات الخصوبة كتغليب النجاح الفرديّ على التضامن الأُسريّ". وأكد أن الهجرة تبقى المفسر الأول للخطّ التنازليّ لديمغرافيّة المسيحيّين وبدأت في مطلع القرن الماضي وتسارعت حين اتّسع التفاوت بين نموّ الاقتصاد المحلي ومتطلبات الناس الجديدة وباتت مدفوعة اولا بهاجس الارتقاء الاقتصادي. "وفي السنوات الاخيرة تلازمت االهجرة والرغبة فيها مع تزايد الحديث عن انحسار الدور المسيحي بظل الشعور بالغربة والعزوف عن المشاركة في الحياة العامة". ومع تأكيده أن المسيحيين في المنطقة عانوا كغيرهم من الفشل في بناء دولة المساواة في المواطنة، شعروا أكثر بازدياد هامشيتهم وتراجع إمكانية مشاركتهم في صنع مصائرهم، فضلاً عن المصير الوطني، علما أن "ثنائية الأقلية المنكفئة والأغلبية الطاغية لم تأسرهم، ذلك أن مشكلات المسيحيين كانت وما تزال تعبيراً عن مشكلات المجتمعات العربية كلها، ما يتصل منها بالمساواة والمشاركة السياسية او ما يختص بالتنمية والنهوض الثقافي".

وتابع أن تزايد القلق عند فئات من المسيحيين "جعلهم أكثر قابلية للتخويف"، ما دفع بعضهم الى تأييد أنظمة الاستبداد أو الحنين إلى أيامها، متناسين ما فعلته بهم من إرهاب وتهميش وإثارة شكوك مواطنيهم بهم. ورغم أن ما نزل عليهم في السنوات الأخيرة من نكبات "لا يتفوق على ما عاناه سواهم من أبناء الجماعات الدينية الأخرى، يبدو اضطراب مشاعرهم نتيجة العنف الواقع عليهم أقوى بالمقارنة مع سواهم"، وأدى تهجير المسيحيين من بعض المناطق أو نزوحهم عنها إلى تسارع في نزيف الهجرة بينهم.

وقال: "اليوم تأمر الواقعية المسيحيين بعدم التعويل كثيراً على امكانية الهجرة الى بلدان بعيدة بحثاً عن الأمان وعن أوضاع حياتية أفضل. ولعلهم يفتقرون إلى الخيارات التي اعتمدتها النخب الدينية والثقافية والسياسية في ما سمي عصر النهضة حين اعتنقت قضايا مجتمعاتها، ما سمح لها أن تلعب ادواراً تتعدى بكثير حجم المسيحيين العددي. فتلك الخيارات ليست متاحة الآن" لكن غيابها يبقى خيراً من الأوهام.

أول الأوهام يدور حول خطة كونيّة لإفراغ الشرق من مسيحييه. لا شك ان الإسلاميين المتطرفين واسرائيل يلتقون في تمني اندثار المسيحيين، لكن الكثيرون لا يريدون القضاء على الوجود المسيحي لكنهم لا يفعلون الكثير للحؤول دونه. ورأى أن تسهيل الدول الغربية وفود المسيحيين إليها نتيجة لاقتناعهم بنجاح اندماجهم وليس بهدف اقتلاعهم من أرضهم.

والوهم الثاني هو "اللجوء إلى الإنظمة الإستبدادية بحجة أن الخيار هو بينها وبين التطرف الإرهابي وكأن لا علاقة متبادلة بين عنف القمع وعنف الإرهاب". والحقيقة هي أن هذه الأنظمة همشت المسيحيين سنين طويلة واخضعتهم مقابل حمايتهم وصادرت حرياتهم ووضعتهم في عزلة.

وثالث الأوهام هو توقع العون وطلب الحماية الخارجية. فما من قوة خارجية تقدم دعما يذكر للمسيحيين. أما الوهم الرابع فيتمثّل بالظن ان للمسيحيين مصلحة في تحالف الأقليات بوجه الأكثرية، مما يخالف كل تطلع لتجاوز ثنائية الأغلبية والأقلية ويساهم في تفتيت المجتمعات في أكثر من بلد.

وختم بالقول: "لا يفيد احدا إظهار تناقض مطلق بين ما يسمى هواجس الأقلية وهموم الأغلبية"، وتقتضي صدقية المسيحيين "تجنب الوقوع في ازدواجية المعايير عند اتخاذ المواقف الأخلاقية، اكان ذلك في الإدانة أو في الدفاع عن حقوق الناس، افراداً او جماعات. ولا يبرر التمييز النازل بالمسيحيين، تمييزاً مضادا، سافراً أو مستتراً، فعلياً أو معنوياً".

أخذ **سعد سلوم** الكلام وقال إنه سيتطرق إلى نقطة نادرا ما يتم مناقشتها وهي الانقسام الداخلي المسيحي حول الشأن العراقي، وهذا الانقسام يرسل رسائل متضاربة إلى المجتمع الدولي، متسائلاً ماذا يريد مسيحيو العراق وسوريا؟. وأضاف أنه سيتناول أيضاً كيفية استثمار هذا الانقسام من قبل العمالقة الداخليين (الشيعة والسنة والأكراد) من خلال تقاسم ثلاثي للسلطة يحددون مستقبل العراق، واللاعبين الخارجيين.

أكد سلوم أن المسيحيين في العراق ليسوا منقطعين عن واقعهم الاجتماعي والقانون العراقي يعترف بـ ١٨ طائفة في العراق، ١٤ طائفة مسيحية في العراق إضافة إلى السنة والشيعة واليهودية والآيزيدية. فما هو موقع المسيحيين في هذه الخريطة الطائفية؟ المسيحيون في العراق ١٤ طائفة وصعب أن يتفقوا على رأي واحد حول المواضيع التي تتعلق بمستقبلهم: لا وضوح حول العلاقة بين الدين والدولة، عودة النازحين، المشاركة السياسية...

وهنا، استعير تعبير المؤرخ كمال الصليبي لتوصيف المسيحيين في العراق، "بيت بمنازل كثيرة، وهم حتى لا يستطيعون الاتفاق على تسمية واحدة لهم. في سهل نينوى مثلاً، لا توجد رؤية موحدة بين المسيحيين حول مستقبلهم، ففي حين يطالب البعض بحماية دولية في استرجاع لاتوبيا مفقودة، يطالب البعض الآخر بإنشاء محافظة مستقلة بموازنة مستقلة وحتى هنا يوجد جدل حول من ستتبع هذه المحافظة: حكومة كردستان أم حكومة بغداد.

وتحدث من جهة أخرى عن ضعف المشاركة السياسية المسيحية كاشفاً أنه في كردستان هناك ستة نواب مسيحيين من أصل ١٠٠ نائب فيما في بغداد هناك خمسة مقاعد مخصصة للمسيحيين من أصل ٣٢٨ مقعد، وهذا تمثيل هزيل ورمزي يبقي المسيحيين تحت هيمنة الجماعات الثلاث الأخرى. وقال إن جل ما يفعله المسيحيون حيال ذلك هو المطالبة بـ ١٥ مقعد و"كأنهم بذلك يغيرون التاريخ!".

وأضاف أن المسيحيين في العراق بحاجة إلى التحاور فيما بينهم قبل التحاور مع الطوائف الأخرى، معتبراً أن انقسامهم يرسل رسائل متناقضة للمجتمع الدولي. وأكد أن الخروج من هذه الدائرة المفرغة هو عبر عدد من الإجراءات أهمها وجود مرجعية موحدة للمسيحيين في العراق (مشيراً إلى البطريرك ساكو) ليكون هناك حضورا فعالاً لهم، الدعوة لجمع الطوائف المسيحية في كنيسة موحدة، التركيز على مصادر القوة الناعمة لدى المسيحيين في العراق، أهمية النظر للتراث المسيحي الديني بوصفه تراث عراقي مشترك مع سائر العراقيين، تعزيز دور المدارس المسيحية والاستثمار بقوة الناس في التغيير من الأسفل إلى الأعلى، لافتاً إلى أنه عندما منع المسيحيون من إحياء مراسم عيد الميلاد، خرج المسلمون واحتفلوا به.

أخذ **أوتمار أوهرينغ** الكلام وقال: "سررت بالاستماع إلى المداخلات السابقة وتمنيت لو تمكن القادة في الغرب من الاستماع إليها علهم يغيرون رأيهم بما يحصل في هذه المنطقة وبمسيحييها". وأضاف: "قد يبدو

نوعاً من التكبر أن أتي من الغرب للتحدث عن مسيحيي الشرق، إلا أنني عملت كثيراً في هذا المجال وفي منظمات الإغاثة المسيحية، وأدى عملي في العام ٢٠٠٩ إلى استقبال أول اللاجئين العراقيين في المانيا، عندما قررت استقبال ٤٠٠ لاجئ فقط وبعدها استقبلت اعداداً أخرى". وتابع: " من المهم أن نصف الوضع في الشرق الأوسط ونقدم الصورة الكاملة من أجل مساعدة الغرب على فهم هذه الأمور والمؤسف في الموضوع أن رجال الدين يتحدثون معنا لغة مغايرة عن تلك التي يتحدثون بها مع الساسة في الغرب، فيأتي كلامهم ليؤكد ما يفكره هؤلاء عن المنطقة. أتحدث عن ٢٠٠ ألف مسيحي عراقي على ضوء ما عرفته من بعض المطارنة خلال السنوات الاخيرة، ولكن يبدو أن الرقم أقل من ذلك كما قال من تحدث قبلي". وقال إن الشروط التي تحدد مستقبل المسيحيين في العراق معقدة وغامضة وهناك أسباب متعددة "تدفعنا إلى الاعتقاد أن الوجود المسيحي في العراق سيكون صعباً". وتابع أن خلال عهد صدام حسين "السني" فرض حكمه على العراقيين وكان بحاجة إلى المسيحيين فتعاون معهم ولم يكن هذا الاتفاق سيئاً بالنسبة إلى المسيحيين. بعد سقوط صدام وتسلم الشيعة دفة الحكم، لم يعد هناك حاجة إلى المسيحيين وكان لهذا الأمر تداعيات سيئة عليهم، لا سيما في ظل تصاعد التطرف العنفي والنكبات المتتالية التي ألمت بهم. وفي هذا المجال، قال إن إيران وتركيا لم يطلعا بدور إيجابي، فتصاعد القلق في نفوس مسيحيي العراق بعدما احتموا بالبشمركة، والنتيجة المنطقية كانت توجههم إلى إربيل معتبرين ذلك مجرد محطة بانتظار الهجرة إلى الخارج. أزمة مسيحيي العراق تشارك فيها كل من إيران من خلال وجودها في تلعفر وتركيا من خلال نشاطها في بعض جبال العراق. وختم مؤكدا أن "المسيحيين ضحايا هذه الأزمات، وأردت التركيز عليها، إذ لا يكفي الحديث عن التمييز في القوانين والدساتير ولكن من المهم وصف الواقع على الأرض والذي يجعل بقاء المسيحيين في المنطقة مستحيلاً. علينا الاستعداد لمواجهة التحديات التي تواجه المسيحيين في العراق كما الشعب برمته".

وفي جلسة النقاش، طرحت الأسئلة والمداخلات التالية:

الأستاذ داوود الصايغ: "إن دوافع هجرة المسيحيين السورين هي ظهور داعش وتسهيل التأشيرات لهم من بعض الدول الغربية. أعتقد أنه من غير السليم النظر إلى مسيحيي المنطقة بشمولية، إذ لكل بلد خصوصيته والمسيحييون في مصر والأردن ولبنان وسوريا والعراق وفلسطين مختلفون. بدأت الهجرة المسيحية في هذه الدول خلال النصف الثاني من القرن الماضي مع نشوء الأنظمة الاستبدادية وسياسة التأميم والقمع وتقلص وجودهم مع تقلص الحريات العامة. المسيحيون في هذه البلدان كانوا أقلية والأقلوي يشعر بالقلق اذا كانت حريته مقيدة". وأكد أن ضمانة وجود المسيحي هي الأنظمة الحرة وليست الحماية الأجنبية. وأضاف أن "لبنان بلد الحريات العامة وحرية المعتقد المطلقة والدولة تحترم جميع الأديان والمذاهب، وكان رائداً في الشرق في هذا المجال. الموضوع اللبناني له مقاربة أخرى".

الأب بيتر مدروس: "نسينا الوجود المسيحي في الخليج فهم لم يكونوا موجودين في القرن الماضي أما اليوم فلهم وجود فيه. ما أريد قوله هو إنه يجب دراسة موقف القرآن من المسيحيين بكل موضوعية لأنه يحدد موقف عموم المسلمين من المسيحية والمسيحيين".

مشارك من العراق وجه ملاحظات إلى متري: " ثمة شعور متنامي لدى مسيحيي العراق وسوريا بأن العراق لم يعد وطناً لهم وأن سوريا لم تعد وطناً لهم ولا مستقبل لهم بهما، وهذا شعور خطير وعلى الرغم من خطورته يصعب احتواؤه في ظل ما يتعرض له المسيحيون. كيف نوقف الهجرة والتهديد ما زال موجوداً؟ بالنسبة إلى الوهم في الاعتماد على الدعم الخارجي، لا يمكن للمجتمع الدولي تقديم الدعم الكافي لحماية المسيحيين لكن المسيحيين يذهبون باتجاه طلب الحماية من الخارج بسبب غياب كل الوسائل الأخرى".

الأستاذ زياد الصايغ وجه سؤالاً الى سلوم: "تحدثت عن الحاجة إلى توحيد المرجعية في العراق وطالبت أن يكون البطريرك ساكو قائد هذه المرجعية. ألا ترى خطورة في استبدال الساسة برجال الدين وضرب الدولة الوطنية".

الأستاذ عريب الرنتاوي: "أعتقد أن أخطر مقاربة لعلاقة المسيحيين والمسلمين هي قراءة هذه العلاقة من خلال صفحة الحاضر. ومن باب إعادة الاعتبار لتاريخنا أقول إن الصورة لم تكن دائماً بهذه السوداوية ومررنا بزمن كان فيه الخطاب الإسلامي أكثر حداثة وانفتاحاً، وتوجد صفحات مشرقة في تاريخنا ولا يمكن قراءة الوضع عبر عدسات داعش. واجبنا هو في تنقيح الدساتير والقوانين وبناء الدولة الوطنية. أما السجال العقائدي بين الأديان فهو قد يطول كثيراً ولا يجدي! البداية السليمة لعلاقات سليمة بين الطرفين هي في بناء الدولة الحديثة والعادلة والوطنية، وهي الدولة التي تجمعنا".

الأستاذ ألفرد رياشي: "إن مسيحي مصر والعراق وسوريا ارتضوا الذمية السياسية، والأمل عندهم مفقود بالبقاء. مسيحيو لبنان قد يلحقون بهم والحل هو في تبني النظام الفيدرالي. الغرب لا يساعد المسيحيين لأن الرؤية عند المسيحيين ليست واضحة".

وفي معرض الرد قال المتحدثون:

متري: "علينا أن نكون أكثر تخصصاً. سمعت كلاماً عمومياً لا يقدم ولا يؤخر، ولدينا ميل يبدأ بيجب وينبغي ويجعل من رغباتنا برامج. علينا الخروج من هذا الإطار. خلال عصر النهضة، كانت الآمال كثيرة لدى المسيحيين والمسلمين لكنها تبددت والوعود التي حبلت بها النهضة قد خبتت، والشعور بالخيبة أكبر عند المجموعات الأصغر عدداً".

سلوم: "إلى الحاجة المجتمعية هي إلى مرجعية مسيحية واحدة لديها وضوح في الرؤية وعلاقة جيدة مع الجميع وهذا ما يتمتع به البطريرك ساكو، مع تأكيدي أن رجال الدين عنصر مساعد وليس بديل عن الساسة".

وبعد الغداء، تحدث النائب اللبناني **نعمة افرام** وقال:

"إن التعمق الجدي في التحدياتِ التي يواجِهها المسيحيون في الشرق الأوسط، يقتضي التبحر في التاريخ لتظهير الأسس التي يقوم عليها مستقبلهم. ولا أقصد تاريخ عالمنا المشرقي فحسب، بل مسار التاريخ العالمي. فالشعوب تحيا من ذاكرة تاريخها الجماعي. وإذا ما كانَ المستقبل يبدو بسبب التغيرات الجيوسياسية التي

يشهدها مشرقنا ضبابيا ومجهولا وأحياناً مخيفاً، فإنني مصر على أن المسيحيين المشرقيين كانوا دوماً في هذه المنطقة دعاة رجاء وشهود محبّة، ناقلين للمعارف ومناضلين من أجل الحرية والكرامة البشرية".

وأضاف: ونستذكر ونحن على أبواب مئة عام من ذكرى انهيار السلطنة العثمانية، انهيار الإمبراطورية الجرمانية وروسيا القيصرية، وهي تصدعات كان لها تأثير أساسي على المسيحيين المشرقيين. فلو لم يتزامن تفتت السلطة العثمانية مع الثورة البولشيفية لكان قياصرة روسيا استعادوا اسطنبول عاصمة للأرثوذكسية في العالم ولكانت انعكاسات ذلك على مسيحيي المشرق إيجابية".

وتابع أنه مع انهيار السلطنة العثمانيّة أفل نجم الإمبراطورية الأوسترو - هونغروا التي كانت قد مهدت لقيام نظام المتصرفية وتقوم فلسفة هذا النظام على المسيحيين اللبنانيين. ودخل بعدها لبنان عهد الانتداب الفرنسي لتستمر معه رعاية المسيحيين. ومع نهاية الانتداب ونشوء نظام الصيغة والميثاق مع الاستقلال، دخل لبنان عصر إدارة أزماته بذاته".

وقال إن واقع المسيحيين في المنطقة تغير مع تحول روسيا الجذري نحو الشيوعية وتفتت الإمبراطورية الكاثوليكيّة، لم ينجحوا خلال وبعد ذلك، من مواجهة مخاطرِ التصفيةِ والهُجْرَةِ والترهيب. من مذابحِ الأرمن والسريان إلى مجاعة جبل لبنان. وما مارسه تنظيم داعش الإرهابي في السنواتِ الأخيرةِ، يشكل تكراراً ما لوجدان هذه الحقبة التاريخية الأليمة".

وسأل: "أين نحنُ كمسيحيينَ مشرقيينَ من أخذ العبر؟ وكيف علينا فهم ما نحن مقبلون عليهِ انطلاقا من التاريخ؟ هل تأتي عودة روسيا إلى هذا المشرق من بوابة الأزمة السورية في هذه الحقبة، من خارج سياق المسار التاريخيّ الذي ذكرت؟ أم إننا أمام توقف للزمن مع إعادة انتاج للمسألة الشرقية؟ هل روسيا ذاهبة باتجاه إعادة إنتاج مسار متجدد للجيشِ القيصري الأبيضِ في الشرق الأوسط، ونبدو للوهلةِ الأولى كمسيحيين أننا حلفاءَ طبيعيينَ له؟ هذه جدلية تستأهل تفكيراً عميقاً، وفيها كثير من المحاذير".

من جهة أخرى اعتبر تصاعد اليمين في أوروبا محاولة لاستعادة هوية مسيحية لأوروبا وشبه اعادة تكوين للامبراطورية الأوسترو هونغروا، مؤكداً أن المنطق يدفعنا إلى توقع برنامجاً أوروبياً لحماية المسيحيين على غرار زمن المتصرفية. أتوّقَعَ أيضاً برنامَجاً أوروبيّاً لحمايةِ مسيحيي المَشرقِ على غرارِ ما كانَ زمنَ المتصرفيّة؟ يضاف إلى ذلك الغزو التركي الاقتصادي المستجد للشرق والتطور الهائل في ثورة المعلوماتية وفشل الربيع العربي وصعود تنظيم داعش وترهل دول المشرق وعدم إنجاز أي تقدم في ملف القضية الفلسطينية.

وسأل "أمام كل هذهِ الحقائق، هل نحن أمام إعادة تشكيل جغرافي – ديموغرافي للمنطقة؟ هل ستعيد هذهِ الأزمات وهج الدول الموحدة؟ أم نحن ذاهبون إلى تفتيت وتفكك؟ هل سيكون لنا كلمة مرة أخرى نحن المسيحيين في مسار تشكيلِ المِنطقةِ بما يَحمي وجودنا الفاعل والحر؟ أم إننا سنتحول تحفا وأقليات، فيما تهاجر الأغلبية إلى الغرب؟

الفرق بينَ هذه المسارات، هو في "وعينا" لما يجري من حولنا وأن نكون مستعدين للتطورات الكبرى، ونحن في لبنان غير مستعدون في ظل هذه الحال من التردي السياسي والاقتصادي والاجتماعي.

وختم بالقول: "إذا أردنا أن يبقى لنا لبنان، ودور فاعل للمسيحيين في الشرق، علينا أن نتحول من دولة شبه فاشلة إلى دولة منتجة وقادرة على تطوير حياة مواطِنيها. يجب أن يستعيد المسيحيون في هذا الوطن وهذا الشرقِ دورَهُم ورسالَتهم. يجب أن يكونوا قدوة للعلم والاحتراف، ومثالا في إدارة نبيلة وخلاقة للتعددية ولشؤون المواطنين والوطن... وإلا على حضورنا ودورنا السلام!".

ووجه **الرئيس الجميّل** سؤالاً إلى افرام حول مسيحيي الانتشار فرد قائلاً: "نتواصل مع الانتشار المسيحي في العالم ليستعيدوا جنسيتهم اللبنانية لأننا نعتبر أن لبنان والمنطقة لن يعودا كما نعرفهما إذا غادرهما المسيحيون. إذا لم نقم بأي خطوة اليوم، ستتراجع أعدادنا. وإذا خسر لبنان مكون أساسي من مكوناته سيفقد هويته، نحن نفتخر بالاغتراب لكن للاسف الاغتراب لا يفتخر بنا. بالنسبة الى مغتربينا لا يوازي بشاعة الحرب الأهلية سوى بشاعة أزمة النفايات. لا يمكننا الحديث عن انصهار المسيحيين في لبنان لأن العلاقة بين الطوائف عميقة جداً حتى بات هناك توافق عميق بينهم على لبنان، وهي تحمي نفسها كما تحمي بعضها لدرجة باتت معها تكمل بعضها. لكن يبقى علينا أن نجعل من هذا الانصهار عاملاً منتجاً لبناء الدولة التي نحلم بها، وإلا تبقى العلاقة بيننا عقيمة!".

فادي الأحمر: "استغل العرض التاريخي لأطرح ثلاثة أسئلة: ما هي مسؤولية الغرب في إعادة إبراز قضية الأقليات؟. ما هي مسؤولية المسلمين والخطاب الاسلامي عما وصل إليه وضع المسيحيين، وما هي مسؤولية المسيحيين الذين لجأوا الى الغرب وبقوا خارج القضايا العربية ما دفع بالشكوك بانتمائهم العربي".

نديم البستاني من المؤتمر الدائم للفيدرالية: ما هي رؤيتكم لخلاص مسيحيي لبنان؟

افرام: "قيام الدولة اللبنانية المنتجة هي الخلاص الوحيد للمسيحيين فيه كما لكل اللبنانيين. منزلق الهجرة خطر جداً للمسلمين والمسيحيين معاً. اما يوجد صراع حضارات أما لا، ونحن مدعوون لبناء انصهار حضاري. علقنا في لبنان بمقولة المشاركة في السلطة ألا أننا نسينا كلياً الانتاجية. المشاركة في السلطة انتجت ديمقراطية الفيتويات ما أوصلنا إلى المديونية التي نعاني منها لأننا أهملنا الانتاجية".

بدأت الجلسة الثالثة تحت عنوان **"الأقلوية والحماية: مقاربة نقدية"**، بتعريف منسقها عريب الرنتاوي بالمتحدثين فيها وهم سمير مرقص، وزير سابق وعضو شرف مدى الحياة في الأكاديمية النروجية للأداب وحرية التعبير، وحنا عيسى، باحث وخبير قانوني وأستاذ جامعي، وزياد الصايغ، خبير في السياسات العامة وشؤون اللاجئين.

وقال **عريب الرنتاوي** إن هذه الجلسة مخصصة لما بات يسمى بتحالف الأقليات "وهو كما وصفه صباحاً الوزير متري "بالوهم" الذي انبثق من فزاعة الاستبداد، وستناقش أسئلة عدة منها هل تجلي فعلاً على الأرض حلف أقليات؟ وهل الأقليات موحدة لكي تندرج في أحلاف؟؟ "الأكراد في سوريا والعراق على سبيل المثال، يعانون من انقسامات وقد دخلوا في تحالفات متناقضة كما هي الحال مع مسيحيي لبنان الذين توزعوا على أكثر من محور. المشهد على اتساعه يظهر أن هذا المفهوم يواجه تحديات كثيرة.

أخذ الكلام الوزير السابق المصري **سمير مرقص** وبدأ مداخلته قائلاً إن مفهوم الحماية ارتبط بشكل أساس بمفهوم الامتيازات الأجنبية الذي جاءت به الدول الغربية وشكل بداية انهيار السلطنة العثمانية. اما تحالف الأقليات، "فيبدو لي أنه بعد الحراك العربي آن الآوان للنظر بحقيقة وجود تحالف بين مسيحيي المنطقة؟".

واعتبر أن هذه المسالة مرتبطة بالسياق المجتمعي، فالمتتبع للحالة المصرية مثلاً يرى أن تحرك الأقباط في المجتمع المصري ارتبط باللحظة المجتمعية الآنية كما كان الحال قبل ١٩٥٢ حين استجابت شرائح من الأقباط للناصرية والمواطنية المدنية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، وخصوصاً الشرائح الدنيا. وأوضح أن الجسم الاجتماعي القبطي لم يكن لوناً واحداً والأشكال التي كان الأقباط يلجأون إليها في لحظات تاريخية معينة هي الملات ولم يحدث أن وجدت كتلة قبطية، مؤكداً أنه في مصر لم تكن توجد حالة أقلوية وكان الأقباط منخرطون تماما في مجتمعاتهم. وتابع: "إن النقطة الفارقة حصلت عام ١٩٧٠ مع ظهور المد الإسلامي السياسي الذي فرض حالة من الاستنفار وتوتر العلاقات بين المسيحيين والمسلمين فاندلعت أعمال العنف الديني والسجال الديني في ظاهرة لم تعرفها مصر سابقاً في تاريخها الحديث. وتحول هذا الاحتقان إلى حالة مجتمعية وبات كل إشكال بين المواطنين يتحول إلى إشكال ديني إذا كان طرفاه مسلم ومسيحي". وذكر أنه مع اندلاع ثورة ٢٥ يناير، انخرط الأقباط فيه بدافع المواطنية وليس من موقع الأقلية، حتى أن الشباب القبطي خرج عن المؤسسات الدينية التي لم تواكب الحراك حينها. واعتبر أن الأزهر بدأ بإصدار وثائقه المهمة نتيجة لزخم هذا الحراك.

ومع ذلك، أضاف، "اكتشفنا من خلال التجارب وجود ثقافة مجتمعية ممانعة للتعددية الدينية، بمعنى هناك قانون يجيز بناء الكنائس ولكن المجتمع يمانع ذلك وترسخت هذه الممانعة أكثر مع تصاعد الفكر المتطرف"، معتبراً أن هذه الحال من اكثر الأمور خطورة التي يواجهها اليوم الأقباط المصريون. وأوضح أن هذه القيم الممانعة تحمل فكر الاقصاء والرؤية الواحدة وتشكل منظومة فكرية وثقافية تمنع قيام الدولة الحديثة التي تحمل المواطنية والمدنية والعصرنة. وقال: "أعتقد أنه في الحالة المصرية، المعركة الرئيسة في المرحلة المقبلة هي في كيفية مواجهة ثقافة الممناعة هذه. يمكننا إصدار قوانين تكرس الحقوق كافة، لكنها ستصطدم بواقع سمته الأساسية القيم الثقافية الممانعة التي تجد صدى لها لدى بعض القوى المحافظة بشكل عام ولدى شرائح شعبية كثيرة. آن الآوان لأن نعيد النظر في كيفية التعامل مع الواقع ونحن بحاجة إلى تأكيد فكرة الاندماج المواطني سواء بين المسيحيين أنفسهم او المسيحيين والمواطنين الآخرين".

أخذ الكلام **حنا عيسى** وقال إنه في فلسطين لا توجد أقلية، "فنحن شعب واحد ونسمى الشعب العربي الفلسطيني. يوجد ٤٥,٠٠٠ مسيحي في الأرض المقدسة، و١١٤,٥٠٠ مسيحي فقط في الداخل ومليونين في الشتات، ومع ذلك لا ندعي أننا أقلية وهناك تعاون مطلق بين المسيحيين والمسلمين". وتحدث عن تراجع في عدد المسيحيين بسبب الهجرة "كما هي الحال مع المسلمين في فلسطين وسائر الدول العربية"، ذاكراً أنه عندما استولت إسرائيل على القدس العربية صادرت ٥٠% من ممتلكات المسيحيين. وأضاف أنه في القدس اليوم ٦٢ عائلة مسيحية فقط تحت الوصاية الأردنية. "واقعنا مستقر من حيث الوجود الفلسطيني ككل ولدينا ١٣ طائفة مسيحية وليس لدينا كنيسة وطنية فلسطينية جامعة، فكنيسة القيامة تخضع للساتيكو العثماني ويشرف عليها الروم والأرمن الأرثوذكس والفرنسيسكان.

بدأ **زياد الصايغ** مداخلته بالحديث عن "فلسفة إدارة التنوع وفهم التعددية كعنصر غنى، في حقبة تتنامى فيها الكزينوفوبيا والعصبيات القومية"، مستعرضاً أربعة تحديات يجب تجاوزها في هذه اللحظة التاريخية، وهي وهم الأقلوية والإنتفاخ الأكثري وترهل التيار الليبرالي المعتدل وهشاشة استراتيجية بناء العدالة الاقتصادية-

الاجتماعية كعنصر تماسك إجتماعي. وعن وهم الأقلوية قال إن "أخطر ما في أي مجتمع هو أن تشعر فيه مجموعة دينية أو عرقية أنها أقلية"، معتبرا الأقلوية حالة ذهنية تشد عصب التطرف وتستدرج حمايات داخلية أو خارجية كما تثير الخوف وتدفع إلى التخويف ومؤكداً أهمية تفكيك البنية الفكرية لهذا الوهم. وعن الانتفاخ الأكثري قال إنها حالة تشعر معها مجموعة دينية أو عرقية بانتفاخ أكثريّ وتنزلق في تأكيد أحقية سيادتها في الحكم وحدها وبفرض تقاليدها واحتكار مصادر التشريع، وهذا يناقض الديمقراطية الحقة التي تأخذ بعين الاعتبار وجود معارضة واختلافات. وعن ترهل التيار الليبرالي المعتدل، رأى أنه من الضروري في خطوة أولى "الاعتراف بترهّل الأنتلجنسيا الليبرالية المسيحية والإسلامية والمدنية واستقالتها من أداء دورها في صياغة خيارات لهوية منفتحة"، ليصار في خطوة ثانية إلى استنهاضها "وبناء هوية تسالمية رغم تعقيدات تركيبتها التعددية". واعتبر أن هشاشة بناء استراتيجيات تؤمن العدالة الاجتماعية - الاقتصادية "تمزق وحدة الهويات المجتمعية، وتدفع باتجاه استقطابات التطرف واللاإستقرار".

وعن وضع المسيحيين المشرقيين في سياق التحوّلات العربية الاستثنائية تحدث عن ضرورة تحريرهم من عقدة الأقلوية "ويجب عليهم أن يستندوا إلى مبدأ أساس يتمثل بأن شهادتهم أبعد من أن تخضع للترهيب حتى باسم التكفير، كما هم لا يحتاجون إلى حمايات خارجية". وفي هذا السياق، اعتبر أن الأصولية هي حليف للديكتاتورية "ودعوة لاستنفار عصب جماعي وتوتير مساحات العيش المشترك فيه"، داعياً القيادات الروحية والزمنية إلى "إيقاف تراكم الأخطاء في تجاوز للوهم الأقلوي كما للاستتباع الأكثري، والارتقاء إلى مستوى استنهاض تيار ليبرالي عربي عريض مع المسلمين الأحرار المعتدلين ينهي حالة التسيب في التخويف بالأصولية المفترضة وانتهاك حرمة الإنسان". وأردف أنه بالاستناد الى "أقلوية الخطأ الشائع"، ثمة من يستدعي حماية خارجية وداخلية لمسيحيي المشرق، خارجية عبر تكوين تحالفات عابرة للقارات قاعدتها دينية، وداخلية عبر التحالف مع الأقليات الأخرى والتصاق "بمنظومات استبداد تشيع قدرتها وحدها على صون حقوقهم، الدينية منها والمدنية". وأكد أن هذه الحمايات الداخلية والخارجية هي وهم انتحاري، والرهان على الحقوق لا يستقيم إلا بدول ديمقراطية تسودها الحرية ويحميها قانون ومؤسسات. "أما فرضيات الفدرلة في معناها الانعزالي والعزلي، فهي ما كانت أساساً في أي لاهوت مسيحي، مشرقياً كان أو غربياً".

ودعا مسيحيي المشرق إلى "استلهام أولاً كرامة الإنسان، إذ لا أيديولوجية أو عقيدة تسمو على كرامة الإنسان، وضمانة هذه الكرامة تكمن في قيام دول مدنية ديمقراطية تحترم التعددية ويسودها العدل، وثانياً الانتصار لفلسطين كقضية عدل وحق "وهَم مسيحي - اسلامي، ولم لا يهودي متنور بات يترجم ذاته في مهاجمة عنصرية صهيونية أساءت إلى اليهودية نفسها قبل كل شيء". وثالثاً، الشراكة مع المسلمين لبناء النهضة العربية الثانية من خلال حماية قيمتي المحبة والرحمة وعلى قاعدة النديّة في المواطنة.

وأخيراً قال "إن النقاش في مستقبل مسيحيّي الشرق الأوسط يجب أن ينتقل للبحث في مستقبل الإنسان وقيمه في العالم، وهذا يقتضي منا قراءة مقتضبة في تشوه اليمين وإفلاس اليسار وفيهما لعب المسيحيون المشرقيون دوراً أساسياً". وأضاف: " دخلنا في زمنٍ ليس من سماته الصدامية فقط فيما بين الدول والمجتمعات، بل في ما بين أعراق وطبقات هذه الدول والمجتمعات"، داعياً المرجعيات إلى بناء "لوبيينغ دينيّ لتصويب اعوجاجات الانتفاضات الشعبوية المدمرة لمنظومة القيم الانسانية على المستويات كافة".

الخميس ٢٠١٨/١١/١٥

بدأت الجلسة الرابعة تحت عنوان "**المسيحيون العرب ونصوص الشأن العام الكنسية**"، بتعريف منسقها الدكتور وحيد عبد المجيد بالمتحدثين فيها وهم، المطران حبيب هرمز، رئيس أساقفة الطائفة الكلدانية في البصرة والأب بيتر مدروس، متخصص في العلاقات الإسلامية المسيحية والأب غابي هاشم، متخصص في القضايا المسكونية وأستاذ جامعي.

قال **عبد المجيد** إن الجلسة تناقش موضوعاً من اهم المواضيع لأنه جديد وليس مطروحاً على نطاق واسع ويحتاج إلى نقاش وبحث طويل. وأضاف أن الجلسة تنطلق من افتراض وجود لاهوت سياسي عربي يمكن استنهاضه بحيث يلعب دوراً في إخراج العالم العربي من النفق المظلم الذي انزلق إليه ومن أهم سماته الفشل في بناء الدولة الحديثة وطغيان الانتماءات الفرعية على الانتماء الوطني.

وأوضح أن الموضوع يثير سؤالين نحتاج إلى أن يكونا في خلفية النقاش: الأول: هل يوجد فعلاً لاهوت سياسي عربي حديث له محتوى يمكن أن يفيد في المرحلة الراهنة ويساهم في بناء الدولة الوطنية وتوفير الثقافة التي تحتاجها من ثقافة الوطنية إلى ثقافية المساواة والديمقراطية؟. عندما لا تكون لدينا دول حديثة يصبح الحديث عن هذه المبادئ حديث في الفراغ. السؤال الثاني: كيف يمكن استنهاض لاهوت سياسي عربي دون الانزلاق الى تديين السياسة وتسييس الدين؟؟ نريد من اللاهوت أن يدعم السياسة ولا نسعى إلى لاهوتية سياسية مقابل الإسلام السياسي أو الإسلام السلفي.

أخذ الحديث المطران **حبيب هرمز** وقال إن اللاهوت المشرقي بصورة عامة هو لاهوت كتابي يستند إلى الكتاب المقدس، وهو لاهوت أخلاقي عملي ولاهوت تدبيري ولاهوت اجتماعي. نشأ هذا اللاهوت مع الأباء الأوائل (مار افرام كان ضد القدرية لأن القدر ينفي حكم الضمير والاجتهاد الخلقي، لذلك أكد اللاهوت الشرقي على العمل والحرية وحرية الضمير). وأضاف: "ثبت من خلال الخبرة أن الاحتماء بالدول الأجنبية هو إجراء فاشل. المسيحيون يتحسسون من السياسة بسبب تعلقهم بالأخلاقيات وخوفهم من أن يقوموا بشيء يناقض الدين. قادة الكنائس كانوا رهباناً، ودور الكنيسة كان ضعيفاً في السياسة وفي المجتمع اذ كانوا يركزون على الصلاة".

وتابع: "لا يوجد لاهوت سياسي في بلاد الرافدين ولكن هناك محاولات، ونعاني من مشاكل كثيرة اهمها أزمة العقل والوعي والمشاكل الطائفية (١٨% أمية) وضعف الحكومات المدنية والديمقراطية الشكلية والوضع الاقتصادي الهش والحروب والتناقضات في العلاقات بين المسيحيين أنفسهم وبين المسيحيين والمسلمين، إضافة إلى الجانب السلبي للحضارة المادية والتشتت الجغرافي للمسيحيين في العراق". وأردف: "إن العمل المسكوني في العراق هو رعوي ولا يوجد حوار لاهوتي، ونحاول ان نتبصر كيفية تحليل الواقع. إذا أردنا أن يكون للمسيحية مستقبل في منطقتنا، علينا عدم اليأس من الحوار وتحديث الخطاب الديني وتثقيف المجتمع وفصل الدين عن السياسة وتجريم خطابات الكراهية والوعي بدروسنا ونشر تراثنا وترسيخ ثقافة الولاء للوطن وتعزيز المراكز المسيحية الثقافية والإعلامية".

اعتلى المنصة الأب **بيتر مدروس**: وبدأ مداخلته بالقول "ادوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله. هذا هو اللاهوت المسيحي. فالمسيح رفض الثيوقراطية التلمودية ومبدأ السلطة والهيمنة، وهو الذي قال إن مملكتي ليست من هذا العالم. لهذا يستطيع المسيحيون أن يعيشوا في أي دولة وتحت أي نظام لأنهم لا يتوقون إلى السيطرة".

وأضاف: "سهل جداً على المسيحي أن يكون مخلصاً للوطن، ومع إن مملكة الله أفضل، فالوطن موجود في المسيحية" وتابع: و"كما كان الأمر مع يسوع، وجب على المسيحيّين الانتماء للوطن والفرح لفرحه والحزن لحزنه. وإن كان السيّد المسيح قد أمر أتباعه بأن يكونوا "ملح الأرض ونور العالم" (متّى ٥: ١٣)، فما اراد من المسيحيين ترفعاً ولا استكباراً، كما يشهد لهم النص القرآني: "وإنهم لا يستكبرون" (سورة المائدة ٨٣). وعلى المسيحيين أن يصلوا من أجل جميع النّاس بلا استثناء وخصوصاً من أجل المسؤولين "وأن يخضعوا للسلطات القائمة" عالياً على شؤونهم (رومية ١٣: ١) وأن يكونوا "في العالم" لا "من العالم". وكصدى لوصايا المسيح، شددت كتابات بولس الرسول وتعاليمه الشفهية على المحبة والإحسان والعمل لبناء ما سيسمّيه الفارابيّ "المدينة الفاضلة". لذا، كتب بولس الرسول:" أولوا جميع الناس حباً صادقاً مقدساً"، "وطالما تسنح الفرصة، أحسنوا إلى الكل، ولا سيما إلى أهل الإيمان" (غلاطية ٦: ١٠)".

وعن النّصوص الكنسية المرتبطة بالشأن العام، قال إنه سيحصر كلامه بفلسطين والأردن وأوضح أنه منذ أواخر سنة ١٩٩٩ بادر السيد رفعت قسيس، من رام الله، إلى طرح فكرة وثيقة مسيحيّة فلسطينية عن القضية الفلسطينية بتركيز على الاراضي المحتلة في حرب ١٩٦٧. وشارك في الوثيقة البطريرك صباح وعدد من الأساقفة والكهنة والعلمانيين. وصدرت في عدة لغات بعنوان "وقفة حقّ، كايروس فلسطين". ولها كبير الصدى إلى أيامنا في معظم عواصم العالم. ومؤخراً، عبرت الكنيسة في فلسطين والاردن عن شديد شجبها لقرار ترامب الاعتراف بالقدس عاصمة لإسرائيل فقط. وأعلنت الكنيسة الكاثوليكية، في ٢٠ كانون الأول/ديسمبر سنة ٢٠١٧ أن "تصريحاته مخالفة لمنطق المدينة المقدسة نفسها وطبيعتها الشمولية. ونحن نقف معارضين لأي قرارات أحادية الجانب متحيزة تتعارض مع الطابع الفريد للمدينة التي هي كنز للإنسانية جمعاء، ولا يجوز أي احتكار لها، سياسياً كان أم دينياً". وفي ٢ تشرين الثاني/نوفمبر من العام الجاري، دعت الكنائس حكومة نتانياهو إلى إلغاء قرارها عن "يهودية الدولة" على أساس أنه عنصري وجائر، يتجاهل مواطنين وجدوا قبل قيام الكيان الصهيوني وأنزلهم إلى الدرجة الثانية أو الثالثة مع خطر ترحيلهم وهدر حقوقهم بشكل رسمي "قانوني" باعتبارهم سكاناً أكثر منهم مواطنين. وتحدث عن الخدمات المجتمعية التي تقدمها الكنيسة كدليل عن انخراطها في الشأن العام.

وأخيراً، قال إن الكنائس تسعى إلى الخير العام "وتحاول التقريب بين وجهات النظر الدينية والحوار بين ديانتينا، على أعلى المستويات من قداسة الحبر الأعظم والبطاركة وأئمة الأزهر وسواهم وإلى المستوى الشّعبي، إذ لا مستقبل لنا كلنا ولا انسجام ولا مواطنة في النّعرات والفتن ("وهي أشد من القتل" حسب النص القرآني)، ولا حياة وسط القنابل والقذائف والرصاص والدّبابات والغارات الجوية بيننا والمشاحنات والخصومات، مع أننا كمسيحيين "أقرب الناس مودة للذين آمنوا". واعتبر أن التطرف والتّعصب الديني أو الذي ينسب نفسه إلى الدين عاملاً خطيراً في تهجير المسيحيين وفي تقويض الوحدة الوطنيّة ، مع أننا خلقنا "شعوباً وقبائل لتعارف"، خصوصاً في الوطن الواحد، بحيث نسعى آملين، في نهاية النّفق أن "نحيا حياة وادعة مطمئنة بكل تقوى وكرامة".

أخذ الكلام الأب **غابي هاشم** وقال إن المسيحية ليست ديناً ولا هي نظام ديني مبني على العقائد والعبادة والأخلاق الحسنة على الرغم من أهميّة هذه الأمور للمسيحيين، كنائس وشعبا. إنها بالحري نهج يلتزم التزاماً لا خفر فيه تحقيق الملكوت الذي نادى به السيد المسيح على هذه الأرض". وتابع: "هنالك سؤال وجيه واحد

بشأن المسيحيين في هذه المنطقة من العالم: ما هو السبب الذي يبرر بقاءهم في الشرق الأوسط؟ وماذا يقدمون للآخرين كأن يأتوا بأمر لا يقدر عليه سواهم". وأضاف: " الحقّ يقال أنه لا شيء في الظاهر، لا يقوى على تحقيقه سوى المسيحيين في هذا الشرق... لكنهم منذ تواجدهم على هذه البقعة من الأرض، يؤمنون بالشراكة ويسعون إليها مع جميع مكوّنات مجتمعهم على اختلاف دينهم، ومذهبهم، وعرقهم، وجنسهم، ومنشئهم، ونفوذهم".

بالنسبة إلى الخطاب اللاهوتي المسيحي المرتبط بالشأن العام في العقود الثلاثة الأخيرة، قال إن الكنائس وجهت خطابها حول الشأن العام بلغة اللاهوت والعبارات الروحية ولكنّها دخلت في مجال جديد يطلق عليه البعض اسم "لاهوت السياق". وذكر أهم نصوص الكنائس في ما يتعلّق بمسألتي الشأن العام والسعي المسكوني وهي: الرسائل الراعوية لمجلس بطاركة الشرق الكاثوليك؛ الإرشاد الرسولي الصادر عن البابا يوحنا بولس الثاني (١٩٩٧) بعنوان : رجاء جديد للبنان؛ شرعة العمل السياسي في ضوء تعليم الكنيسة وخصوصية لبنان (٢٠٠٩)؛ وقفة حق kairos palestine (٢٠٠٩)؛ الإرشاد الرسولي الصادر عن البابا بندكتوس السادس عشر: الكنيسة في الشرق الأوسط (٢٠١٢). وأشار إلى أطروحة دكتوراه للطالب اللبناني أنطوان فليفل تطرح السؤال التالي: "هل من لاهوت سياقي في كنيسة لبنان؟" وقال إن فليفل انطلق في دراسته من خمسة لاهوتيين: ميشال حايك، جورج خضر، واكيم مبارك، مشير عون وغريغوار حدّاد، فاستخرج من كتاباتهم مسائل خمس تراءت له أساسا لهذا اللاهوت وهي: التجدد في الكنائس، الوحدة المسيحية أو المسكونية، العروبة arabité، العلاقات الإسلامية المسيحية، والقضية الفلسطينية. وتناول هذه القضايا بدءا من التجدد في الكنائس. أوضح الأب هاشم أنه على الرغم من الدور التاريخي الذي لعبته الكنائس على امتداد العصور، لا بد لها من أن "تضاعف جهودها في خدمة الإنسان بتجرد المسيح وصفاء محبّته اللامتناهية، سواء أكانت هذه الخدمة روحية من الإصغاء والمرافقة والتقدم، أم إنسانية من تعليم وتربية وخدمات طبية، وفنّ، إذ (ليس بالخبز وحده يحيا الإنسان). وأكد أن انخراط أبناء الكنائس في العمل السياسي وأهل السلطة في الكنائس بالشأن العام إنما هو لرقي الإنسان والدفاع عنه وصون كرامته، لأنه وفق التعليم المسيحي مخلوق على صورة الله ومثاله. وسأل: "أين الشرق وأين الإنسان وأين الكنائس اليوم من كل هذا المقوّمات الأساسية؟".

وعن الوحدة المسيحية أو المسكونية قال إن الكنائس في الشرق لا تستطيع أن تؤدي شهادتها ما لم تسعى إلى وحدتها بالشركة التامة بينها، بالإيمان، والأسرار الكنسية (العبادة)، والقوانين والخدمة وذلك على الرغم من التنوّع السائد. وعن العروبة أكد أنه "لا شأن لهذه المسألة في هذا السياق بالقومية العربية لأن الأمر يتعلق خصوصاً بهوية الكنيسة في الشرق الأوسط. إنها استمرار حضور الإنجيل ورسالته المقدسة بين الشعوب في المشرق العربي حيث الكنائس عربية ولو تكلمت السريانية أو اليونانية أو الآرامية أو الأرمنية. عروبة الكنائس هي انتماؤها إلى حضارة أنطاكيا، إلى أرضها وإنسانها وتاريخها وتقليدها. إنها التصاق الإنجيل بإنسان هذه المنطقة وهمومه وشجونه وآماله وأحلامه. إنّها التزام المسيحيّين بأرضهم وما عليها".

بالنسبة إلى العلاقات الإسلامية المسيحية قال إن الإسلام حاجة لا بدّ منها في المسيحية المشرقية وهو جزء منها وهي جزء منه. وأضاف: "لا أحد في العالم اليوم يعرف الإسلام أكثر منا، لأننا نعيش فيه منذ أكثر من خمسة عشر قرنا" عرفنا أفضل العلاقات وأشنعها "وعلى الكنائس أن تقدم عصارة هذا التاريخ وخبرته

دروساً وعبراً تضعها في عهدة مستقبل أبناء هذه المنطقة وأبناء العالم، وقد نكون النموذج الصالح إن التزمنا قواعد الصدق والأمانة والأخوة والتعاضد على الرغم من اختلاف الأوطان والمجتمعات والأديان... وما خلا ذلك، لا نمثّل سوى نموذج فاشل ومقيت".

وأخيرا اعتبر أن القضية الفلسطينية بالنسبة إلى لاهوت السياق المسيحي هي القضية الأم، "وما لم تكن عدالة فلا سلام". واعتبر أن إنّ وثيقة "وقفة حقّ"، هي مثال على الخطاب الكنسي اللاهوتي الجامع المسكوني الذي يتماهى مع واقع الأرض والإنسان والبشارة.

وختم بالتأكيد أن مجلس كنائس الشرق الأوسط يشكل اليوم فرصة ذهبيّة لاغتنام الوقت الملائم ويساعد الكنائس على قول "كلمة حقّ" وعلى الوقوف "وقفة حقّ" في زمن التشتت والتفكك والعنف والظلم الذي يسود الشرق الأوسط. "وفي سبيل تحقيق هذا الأمر، لا بدّ من الإصغاء لصوت الضعفاء والمنبوذين والمهجّرين والمهاجرين والنازحين والفقراء والمرضى والمستضعفين... هؤلاء هم أحبّة السيّد وأمّة الله. ولا بدّ بعدئذٍ من الإصغاء لصوت الله، للروح القدس، وما يمليه علينا من تجدّد داخلي (جهاد)، من وحدةٍ روحيّة، من عروبة، من علاقاتٍ إسلاميّة مسيحيّة صادقة ونموذجيّة، من التزام بقضية الإنسان المظلوم والدفاع عنه، من بناء الأوطان على أسس الحقّ والعدل والكرامة. لذا يبقى المسيحيّون في الشرق. لأنّ مستقبلهم لا يقوم على انتزاع الحقوق والامتيازات المدنيّة، ولا على الاستعلاء والاستكبار. بل على تحقيق رسالتهم العروبيّة الأنطاكيّة، بأن يكونوا ملتصقين بالأرض والإنسان، التصاق الملح بالطعام، والنور بالفضاء، والخمير بالعجين... لقد خذلت الأوطان العربيّة والأنظمة السائدة فيها المسيحيّين كما خذلت سائر أبنائها ولم تؤمّن له الحقوق الأساسيّة ولم تدافع عنهم في وقت الشدّة، ولكنّ الهرب لا يليق بالمسيحيّين ولا التهرّب من المسؤوليّة".

وخلال جلسة النقاش طرحت الأسئلة والمداخلات التالية:

سامح مكرم عبيد تحدث عن مدنية الدولة، مؤكداً "ضرورة فصل الدين عن الدولة إذا أردنا لأوطاننا أن تتقدم. من الخطأ إقحام الكنيسة في السياسة. أحيانا الكنيسة تسيء إلى السياسة بقراراتها، كقرار منع الأقباط من زيارة القدس، ما فتح المجال واسعاً أمام تهويدها".

سعد سالم: "من تجربة مسيحيي البصرة في إطار التعايش الإسلامي المسيحي، أشدد على ضرورة مواجهة خطابات الكراهية. هناك دراسة أظهرت أن حصة المواطن العراقي يومياً من خطابات الكراهية هي ٣٧ خطاباً! مع أزمة كردستان ارتفعت إلى ١٣٧ خطاباً يومياً. ولا بد من التعلم عن الآخر وعن التنوع إذ هناك صور نمطية علينا أن نزيلها لأنها تشرعن العنف. لذا اعتبر أن تدريس التنوع الديني مهم جداً لنراه كمصدر غنى وليس مصدر تهديد".

سمير مرقص: "اسمحوا لي أن أثني على هذه الجلسة لأنها ذكرت بالنصوص المسيحية المرتبطة بالشأن العام، واسمحوا لي أيضاً أن أتقدم بتوصية وهي العمل على رسم خريطة معرفية توثق كل الوثائق التي صدرت في فترة زمنية معينة".

رياض جرجور: "على المسيحيين ان يكون لديهم تصور جماعي حول أي مستقبل يريدونه في هذا الشرق. للأسف أرى ضياعاً في هذا المجال".

أحد المشاركين: "إن الثقل المسيحي العربي في الماضي القريب أكبر بكثير مما سمعناه خاصة بالنسبة إلى موضوع القدس. دور المسيحيين العرب في قضية القدس كبير جداً! كما لم نسمع أي شيء عن تهويد القدس، وعلينا كمسيحيين مناهضة إعلان إسرائيل. كنت اتمنى على الأب هاشم أن يذكر رسائل المجلس حول الحضور المسيحي والعلاقة مع المسلمين".

- **أحد المشاركين:** "مسيحيو فلسطين منهم من هاجر ومنهم من بقي وكل الاهتمام يصب على دعم الذين بقيوا ونهمل المهاجرين. اعتقد أنه علينا العمل على التواصل معهم أكثر كما أدعوا للاهتمام أيضاً بمسيحيي الـ ٤٨ وهم جزء لا يتجزأ من مسيحيي الشرق".

- **أحد المشاركين:** "أود التذكير بمحاضرة للأب ميشال الحايك تحت عنوان ما معنى أننا مسيحيون هنا؟ فهو يقول إننا وسطاء في أكبر صراع في العالم وهو الصراع بين مسيحيي الغرب ومسلمي الشرق وهذا هو معنى وجودنا ورسالتنا وشهادتنا في الشرق. وفي محاضرة أخرى يقول أن الحل بالنسبة للقدس هو أن تكون ميثاقية لأنها أكبر من أن تكون رقعة محصورة".

- **الأب روني الجميل:** المحاور الخمسة التي تحدث عنها الأب هاشم أبرزت عناصر شديدة الأهمية، وأود التذكير هنا بالإرشاد الرسولي وهو نص لم يأخذ حقه رغم أهميته لأنه يحمل رؤية جريئة ومتقدمة إذ تحدث عن علمانية إيجابية لطريقة إدارة الدولة المدنية. بعد أحداث سوريا والعراق، علينا التفكير بعمق في مسألة العنف وتواطؤ المؤسسات الدينية بشكل ما مع العنف. وثمة مسألة مهمة علينا التفكير فيها لاهوتياً وهي مسألة الدفاع عن النفس مقابل بذل الذات من أجل الآخرين. كيف يمكن للمسيحي أن يدافع عن نفسه دون أن ينكر الإنجيل".

وفي معرض الرد على هذه الأسئلة والمداخلات قال المتحدثون:

- **الأب مدروس:** "ذكرت موضوع يهودية الدولة في مداخلتي وهي مسألة احتجت عليه البطريركية الكاثوليكية بشدة وهناك أيضاً وثيقة عمان التي قالت في المسيحيين ما لم يقله المسيحيون أنفسهم. في شأن ما يسمى بإسرائيل، لا يوجد دستور في إسرائيل فهي دولة ثيوقراطية والفاتيكان له سفارتين في فلسطين المحتلة واحدة في يافا وواحدة في القدس. بالنسبة إلى وثيقة المواطنة التي صدرت عن الأزهر، أرى صراحة أنها خطوة شجاعة جدا لأن فكرة المواطنة غير موجودة في القرآن. ولكن للأسف الواقع على الأرض إن لجهة المناهج المعتمدة في التعليم الأزهري أو لجهة العنف الذي يتعرض له الأقباط يتناقض مع هذه الوثيقة ولا أبالغ إذ اقول إن هناك محيط بين الكلام والواقع".

- **الأب هاشم:** "أثني على كل وثائق الحوار الإسلامي المسيحي وعلينا وضع خريطة لتوثيقها. مسألة العنف مهمة جداً ولا بد من فصل الدين عن الدولة. لكن الواقع على الأرض أثبت أن النموذج العلماني الفرنسي فشل خاصة في الشق التربوي إذ ألغى الهوية الدينية التي لا تنفصل عن الحياة. انا لا أقبل بمفهوم الدولة المدنية علماً أننا نحلم بدولة الحق لخدمة الإنسان الذي هو في المسيحية حب الله ولا شيء يتفوق عليه وهذه الفكرة تعتبر عصارة اللاهوت المسيحي".

بدأت الجلسة الخامسة والأخيرة تحت عنوان **"المبادرات الإسلامية وثقافة المساواة"** بمشاركة مفتي طرابلس والشمال الشيخ مالك الشعار والدكتور رضوان السيد، باحث ومتخصص في الشؤون الإسلامية وتنسيق الدكتور ميشال سبع، أستاذ جامعي في علم النفس الاجتماعي.

قال **سبع**: "علمونا في المدارس والجامعات في لبنان أن الميثاق وقع بين المسلمين والمسيحيين وهذا كلام جر علينا الكثير من الويلات. فالميثاق قام بين مشروعين سياسيين: مشروع عروبي ذات خلفية إسلامية وتمثل برياض الصلح ومشروع بخلفية مسيحية يريد أن يجعل من لبنان سويسرا الشرق وتمثل ببشارة الخوري. استمر هذا المشروع رغم كل الصعوبات التي مر بها لبنان. المشكلة اليوم هو وجود مشروع سياسي عقائدي ديني متمثل بحزب الله و يتجه إلى وضع ميثاق جديد على قاعدة الصراع بين دولة عقائدية يهودية ودولة مقاومة عقائدية شيعية وهذه المشكلة لن تنتهي".

وأضاف: "يريد حزب الله أن يكون له مكان في الميثاق الجديد . ميثاق الـ ٤٣ وضع بين المسيحيين والمسلمين السنة منهم بشكل خاص، والحديث اليوم على ميثاقية ثلاثية جديدة يكون المكون الشيعي طرفاً فيها. المسيحيون والمسلمون السنة لهم عمق عربي، ومن أجل التخفيف من قوة السنة يعمل الحزب على الضغط على السنة لتحجيم أدوارهم وتصوير أنظمة الدول العربية السنة أنها فاسدة. الضغط الحالي في لبنان هو ضغط شيعي على السني والمسيحي واعتقد جدياً أن المؤتمر الثاني يجب أن يكون تحت عنوان: ما هو مستقبل السنة في لبنان؟"

اعتلى المنصة **الشيخ مالك الشعار** وقال: "ابتداءاً، اسمحوا لي أن اتقدم بالشكر لكل من ساهم في تنظيم هذا المؤتمر النوعي والذي يبدو للوهلة الأولى أنه يعالج قضية مسيحية محضة تقلق المسيحيين على مستقبلهم في الشرق، والصحيح في تصوري، أن هذا المؤتمر يعالج قضية إسلامية بامتياز، لا لأن المسلمين أوصياء على غيرهم أو رعاة وحماة للآخر، وإنما لأن الحضارة الإسلامية أو حضارة الإسلام يتوقف صدقها ووجودها وحضورها، فضلا عن نجاحها وتألقها على مدى استيعاب الاسلام للآخر، أياً كان هذا الآخر، من أهل الكتاب او من سواهم، حتى لو كان دهرياً لا عقيدة له ولا انتماء. فكيف إذا كان الآخر أقرب الينا مودة كما قال الله تعالى لنبيه محمد (صلعم) "ولتجدن أقربهم مودة للذين أمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون". للمسيحيين وأهل الإنجيل أقول إن علاقة المسلمين بالمسيحيين تقوم على حسن التعامل وتحديد القاسم المشترك وعدم الاعتداء على حقوقهم المكتسبة بانتمائهم الإنساني أولاً فضلا عن انتمائهم المواطني، تحديد القاسم المشترك الذي يكسبهم حضوراً ودوراً ومشاركة في إدارة الدولة وتطويرها دون منة أو عطاء او فضل من أحد. وتلاحظون أني لم أقل تأمين الحقوق لهم، وإنما عدم الاعتداء على حقوقهم المكتسبة من خلال انتمائهم الوطني فضلاً عن الإنسانية التي اكسبتهم الحقوق والواجبات".

وأضاف: "اللافت في عنوان مؤتمركم أنه يتناول مستقبل المسيحيين في الشرق وفي صيغة الاستفسار، وتعلمون جميعا أن الشرق حاضن للعرب مسلمين والمسيحيين معاً ومعهم أقليات من اليهود إضافة إلى سواهم من الملل والنحل والمذاهب. وكأن المقصود من العنوان: هل للمسيحيين مستقبل مع المسلمين؟. لن أتسرع بالجواب لأقول طبعاً، ولا أريد ايضاً العودة إلى الوراء لأذكر بما ذكرته صحيفة النهار في ١٩ نيسان من العام ١٩٨١ من أن الذين اضطهدوا المسيحيين ثلاثة، لكنني أريد من موقعي الديني والفكري والثقافي أن أعلن ما يلي: أولا: المسيحيون ليسوا طارئيين على شرقنا العربي بل هم أصلاء لأنهم أسبق وجوداً باعتبار

أن المسيحية قبل الاسلام، والمسيحيون أصحاب رسالة سماوية نؤمن نحن المسلمون بها وبإنجيلها ونبيها. ثانياً: نؤمن أن النبي عيسى هو كلمة الله ألقاها إلى سيدة العالمين مريم عليها السلام، وعدم الإيمان بذلك يخرج صاحبه من دائرة الإسلام. ثالثاً: نعلن أن المسيحيين لا يقاس وجودهم بالعدد إنما بحضورهم الإنساني وانتمائهم الوطني. من هذه الاعتبارات كانت المحافظة على وجودهم ووجود غيرهم جزءا من حضارة الإسلام التي تتسم بالإنسانية. أولا: رسالة الإسلام تقوم على استيعاب الآخر على قاعدة فكرية أجمع عليها فقهاؤنا وهي لهم ما لنا وعليهم ما علينا. ثانياً: قول الله تعالى مخاطباً نبيه محمد (صلعم): "وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين". والعالمين ليسوا المسلمين وحدهم ولا أهل الكتاب معهم، ولكن البشر جميعاً. ثالثاً: يضمن الإسلام حرية المعتقد والتدين والعبادة والممارسة وحرية التعبير لقول الله تعالى: "لا إكراه بالدين"، وفي آية أخرى قال مخاطباً نبيه محمد (صلعم) : "فذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر". رابعاً: الإسلام هو العدل والمساواة وهذا ما يبينه القرآن الكريم في الآية: "يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم".

وتابع: "قبل أن أتناول أسلوب القرآن الكريم في معالجة هذه القضية، لا بد من بيان قاعدة أساسية في وجود المسيحيين في شرقنا وعالمنا: هذه القاعدة هي أن الرسالات السماوية تتكامل مع بعضها ولا تتضارب، أي كل رسالة تتم التي قبلها وبينها وبين التي قبلها قاسم مشترك كبير، وهي واحدة في أصولها وفي قيمها وهذا يبينه النبي محمد (صلعم) عندما قال: "أنا أولى الناس بعيسى بن مريم منكم في الدنيا والآخرة، والأنبياء أخوة لعلات، أمهاتهم شتى ودينهم واحد"، والمراد بهذا القول هو أن أصول الدين والإيمان والقيم واحدة ومشتركة بين سائر الرسالات السماوية والخلاف هو في بعض الأحكام التي تختلف باختلاف الزمان والمكان. يضاف إلى ذلك قاعدة أصولية أخرى عند أهل السنة وهي أن الشرع من قبل هو شرع لنا ما لم يرد نص بخلاف ذلك. الرسالة التي جاء بها محمد (صلعم) ما جاءت لتلغي ما جاء به الأنبياء والمرسلين قبله، كما أن رسالته لم تأت لتكرر ما سبق من الأحكام بل لتكمل رسالة الله ودينه الذي أرسله على جميع الأنبياء والمرسلين. الرسالات تتم بعضها بعض".

وأردف: "لو كانت رسالة الإسلام لاغية لما تقدم من الرسالات أو ماحية لها، لما قال الله تعالى لنبيه محمد مخاطبا وأمراً: "قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم". هناك اعتراف بالآخر ودعوة لتحديد القاسم المشترك بيننا وبين أهل الكتاب والآخر وإلا لما قال الله تعالى: "ولتجدن أقربكم مودة للذين أمنوا الذين قالوا اننا نصارى"، وقوله "لو شاء ربك لجعل الله الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين" وقوله "ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن". وبيّن لنا ربنا منزلة المسيحيين أو أهل الإنجيل أو النصارى حين قال إنهم أقرب الناس مودة للذين أمنوا. لا بد من أن أعرج هنا إلى أن ختم النبوة بالنبي محمد يقتضي ختم الرسالات، وختم الرسالات برسالته يعني انه أكمل رسالته. قال الله تعالى: "اليوم أكملت عليكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي"، والإتمام لا يقبل الزيادة بمعنى أن الرسالة الأخيرة جامعة مانعة، والإكمال والإتمام يحملان المرونة والاستيعاب لتطورات الزمن ولكل ما يستجد. لذلك في الإسلام مصادر التشريع اثنان: النقل، أي القرآن والسنة، ثم العقل أي الاجتهاد والاستحسان والاستصلاح... ومراد ذلك من ألفه إلى يائه هو قضية واحدة: حيثما وجدت المصلحة تم شرع الله".

قال: "كل ما سبق بيانه لا يعدو عن كونه مقدمات لا بد منها لبيان التأصيل الشرعي لتصورنا الإسلامي لهذه القضية المهمة، أي موقف الإسلام من الآخر بما جاء به بإنسانيته وعالميته وما يحمل من مقومات الحرية

والمساواة. النقطة الأولى في هذا التأصيل هي أن الآخر أياً كان معتقده أو جنسه أو لونه أو بيئته هو إنسان أخ لنا في الإنسانية ("يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة") والناس باختلافهم يعودون الى منشأ واحد وأب واحد. وبينت الآية حتى لا يستعلي أحد على الآخر: "إن أكرمكم عند الله أتقاكم". النقطة الثانية هي أن الآخر والإنسان مكرم بالمطلق عند الله تعالى في الأرض والسماء: "لقد كرمنا بني آدم"، وبنو آدم ليسوا المسلمين أو أهل السنة بل الناس أجمعين، ولفظ الناس والإنسان وبني آدم يفيد العموم ولا يخص دينا أو طائفة أو مذهباً. الثالثة: الإسلام صان دم ومال وعرض الجميع. النقطة الرابعة: إن الإسلام الذي كرم الإنسان وصان دمه وماله وعرضه، صان له الحرية في الدين والمعتقد والممارسة، ولا يحق لأحد منا أن ينكر على الآخر دينه أو مذهبه".

أضاف: "ما ذكرته إنما هو بيان سريع لمضمون وسمة الحضارة الإسلامية الحاضنة للآخر وللغير، لأنها حضارة إنسانية بامتياز ومضمونها الإنسان وتكريمه وحفظه وصون دمه وماله وعرضه وهو مكرم في الأرض والسماء، ولذلك جعله الله خليفة له في أرضه. وهي حضارة تستوعب الإنسان على مر العصور والزمان والمكان حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وبذلك تتبدد الفوارق ويسود العدل وتقوم دولة الإنسان".

وتابع: "بقي علي أن اذكر بعضا من رقي التعامل الانساني مع الآخرين اياً كانوا بعد أن اوجب علينا الله أن نؤمن بكل الأنبياء ونحترمهم ولا نتعرض لاتباعهم بسوء ونحسن معاملتهم ووضع الأصل في التعامل بين البشر في البر، والبر لفظ يدل على درجة عالية ومتقدمة من الإحسان والرفق واللين والاحترام والحب".

وختم بالقول: "في نهاية المطاف، لا بد لي من أن أذكر باختصار أن الحل السريع للقضية التي نحن بصددها هو في أن يعرف المسلمون دينهم وأن يعرف المسيحيون دينهم، لان في ذلك طمأنة للطرفين ولأن من أنزل الدينين هو الله. لا يسعني ألا أن اكرر الشكر إلى فخامة الرئيس الذي اصبح رمزاً للفكر المستنير".

بدأ الدكتور **رضوان السيد** مداخلته بعرض لتاريخ لبنان الحديث بدءا من قيام دولة لبنان الكبير والانتداب الفرنسي والحصول على الاستقلال مروراً بظهور إسرائيل على حدوده عام ١٩٤٨ وبزوغ نجم جمال عبد الناصر وتطلع مسلميه إليه ومحاولات الرئيس فؤاد شهاب حماية البلاد عبر التحالف مع عبد الناصر وبناء دولة المؤسسات، وصولاً إلى نشاط المقاومة الفلسطينية على أرضه وحدوده وتمرد المسيحيين عليها واندلاع الحرب الأهلية عام ١٩٧٥. وقال: " لماذا هذه المقدمة، ما دام الحديث عن المواطنة ووعيها وحراكها وفعالياتها وفاعليتها لدى المسلمين في لبنان؟ لأنه كانت جمهرة من المسلمين، حتى ممن كانوا يعملون في إدارة الشأن العام، تعتقد منذ قيام لبنان أن مواطنتهم منقوصة، فقد قام الكيان رغماً عنهم وهم أُلحقوا به بدون إرادتهم، وأن هويته مسيحية فرنسية، وأن هناك تمييزاً في المعاملة لديه أساس دستوري. وقد تراجع هذا الإحساس بعض الشيء بسبب تعاُن نخب الطرفين في إخراج الفرنسيين، وظهور مبدئيات وسياسات الميثاق الوطني. ورغم اهتزاز هذا المعنى وسياساته أيام الرئيس شمعون؛ فإن نوعاً من الانتعاش حصل لدى المسلمين بسبب سياسات الرئيس فؤاد شهاب الخارجية والداخلية؛ إلى حين ظهور المشكلة الفلسطينية وموت عبد الناصر وتعملق الخصوصية المسيحية من جديد، وتبادل الاتهامات بين الأطراف المتصارعة بشأن الولاء الوطني على مشارف الحرب الأهلية عام ١٩٧٥".

وأضاف: " بعد الغزو الإسرائيلي عام ١٩٨٢، كان هناك إحساسٌ غلاَّبٌ لدى المسلمين جميعاً بالهزيمة. وقد حضرتُ جزءًا من الاجتماع الذي حصل بدار الفتوى في شتاء العام ١٩٨٣، وحضره في مكتب المفتي خالد:

الرئيس صائب سلام، والرئيس حسين الحسيني، والشيخ محمد مهدي شمس الدين"، وخرج الاجتماع "باتفاق" الاتفاق بين الشيخين على ما سمي في الاجتماع بسياسات المواطنة التي يكون على القيادات الدينية الإسلامية اتباعها إلى جانب ما يمكن أن يقومَ به السياسيون. أما الجانب الأول من "سياسات المواطنة" فيقوم به الشيخان في صلاة جامعة بالملعب البلدي، ويكون مفتي الجمهورية الشيخ حسن خالد هو الذي يلقي خطابَ المظالم والمطالب. وأما الجانب الثاني من تلك السياسات فيتمثل في مبادرة من دار الفتوى في قمة إسلامية جامعة أيضاً تجاه المسيحيين، وتجاه الدولة، سماها الشيخ شمس الدين: "مبادرة الثوابت العشر". وتابع أن التسمية كانت جديدة، كما كانت العبارات التي استعملها المفتي خالد في خطاب الملعب البلدي، من مثل لا ينبغي أن يكون في الدولة اللبنانية مواطنون من الدرجة الأولى وآخرون من الدرجة الثانية، كل اللبنانيين هم مواطنون من الدرجة الأُولى. أما الجيش اللبناني فهو الجيش الوطني، وينبغي دعم قدراته لكي يحرر الأرض من الاحتلال الإسرائيلي؛ وليس لكي يدخل إلى بيروت الغربية والضاحية كأنه جيش غاز. أما إعلان "الثوابت العشر" فكان أيضاً حافلاً بعبارات الحرية والمواطنة والمساواة، وجاءت فيه العبارة التي صارت شهيرة وهي أن لبنان وطن نهائي لجميع بنيه، دون تفرقة ولا استئثار ولا تمييز وعلى الجميع إنهاء النزاع الداخلي بأي ثمن.

بعد أن أخرج اتفاق الطائف لبنان من دائرة الحرب الأهلية، " ثبت لسوء الطالع أمراً آخر وهو أن الكيان اللبناني – وبسبب الانقسام العميق، بين اللبنانيين المسيحيين، والمسلمين اللبنانيين- لا يستقر وقد لا يستمر إلا برعاية خارجية تهيمن فتضمن الاستقرار، لكنها تضمن أيضاً بقاء الانقسام الضروري للهيمنة ذاتها!". أهم ميزات اتفاق الطائف ما جاء في مقدمة وثيقة الوفاق الوطني والدستور، وهو أنه أقام كل شيء على العيش المشترك. المهم أن المسلمين اعتبروا اتفاق الطائف انتصاراً، بينما اعتبرته كثرة من المسيحيين هزيمة. إلا أن "ما طُبّق مما نص عليه الدستور إلا التسوية في أعداد النواب والوزراء وموظفي الفئة الأولى. أما بقية ما اعتبرها المسلمون إصلاحات باتجاه المواطنة فلم يطبق بسبب وجود السوريين، وبسبب تحفظات المسيحيين، ثم ما اعتبروه مساساً بصلاحيات رئيس الجمهورية".

وتابع أن الرئيس رفيق الحريري استشهد بسبب إيمانه بالعيش المشترك ومفاعيله المستقبلية على المستوى الوطني وكان محقاً في إيمانه هذا إذ أدى استشهاده إلى قيام ثورة الأرز التي اجتمع على نهضتها اللبنانيون، فنسي الشبان المسيحيون هواجسهم وانخرطوا في حركة الاستقلال الثاني دون الحاجة إلى قوة مهيمنة وراعية، وتقدم المسلمون الصفوف باعتبارهم مواطنين لبنانيين من الدرجة الأولى. "بيد أن هذا الوعي الجديد/القديم ما لبث أن تخلخل (٢٠٠٥-٢٠١٠) باستمرار القتل والاغتيال، وحرب العام ٢٠٠٦، واحتلال بيروت عام ٢٠٠٨، وتغير السياسات الدولية، واجتماع قوتين سياسيتين معاديتين للطائف والدستور على مناضلة الحركة الاستقلالية. الأولى تستقوي بالسلاح، وتقول إن من حق الذين حرروا الوطن من إسرائيل أن يحكموه- والثانية ترى أنه لا حياة للمسيحيين ولا مستقبل إلا من ضمن "تحالف الاقليات" في هذا الشرق المخيف". وقال: "نحن اليوم في حالة اللادولة. طوائف متجاورة، لكل منها إدارة سياسية مستقلة. ويحكمها بالتنمر ووهج السلاح حزبٌ غالب موال لولاية الفقيه الإيرانية؛ هو الذي يشكّل الحكومات ويفرطُها أو يحولُ دونها. وكل الطوائف الأُخرى تحاول تقليده بشأن وحدة الطائفة، وبشأن الاستقواء، وبشأن السماح لحلفائه وأنصاره والمستسلمين لتغوله بالتصارع على الوزارات والمناصب وصفقات الفساد".

وختم بالقول: "كان موضوع هذه المداخلة تقدير إسهامات المسلمين اللبنانيين في مسألة المواطنة، فهل نجحت في ذلك؟ لا أظن أنني نجحت، كما أن المسلمين لم ينجحوا، لأن المواطنة وسواء أكان حاملو فكرتها مسلمين أومسيحيين أو بوذيين، إنما يمارسها شعب في دولة. وقد حاول اللبنانيون إقامتها ثلاث مرات، وفشلوا ثلاث مرات. حاولوا إقامتها إبان الاستقلال الأول في الأربعينات. وحاولوا إقامتها أيام فؤاد شهاب في الستينات. وحاولوا إقامتها في ثورة الأرز وحركة الإستقلال الثاني عام ٢٠٠٥. وفشلوا في ذلك ثلاث مرات: إبان النزاع الداخلي والسطوة الفلسطينية في السبعينات، وإبان السطوة السورية في الثمانينات والتسعينات، وخلال سيطرة حزب الله الإيراني في العقدين الأخيرين. ولنختم بموضوع المؤتمر وهو مستقبل المسيحيين في الشرق الأوسط. المسيحيون فئات رائدة في هذا الشرق العربي أو الذي كان كذلك. وريادتهم تتمثل في صنع النهوض والحداثة، وفي نشر أفكار وممارسات التقدم والاستنارة في أوساطهم وأوساط مجتمعاتهم العربية. فإذا نظرنا إليهم على هذه القاعدة، وبهذه المقاييس؛ فإن المستقبل يظل طوع عقولهم المبدعة، وأيديهم الصانعة. ولا يستطيع أحد أن يسلبهم هذه الميزات والقدرات البارزة. أما إذا نظرنا إلى مستقبلهم في هذه المنطقة بمقاييس صناعة الدول وإدارة الأزمات؛ فإنّ الأمر يصبح مختلفاً. لكنهم لا ينفردون بهذا الفشل الذريع، بل إنه يشمل جيرانهم ومواطنيهم من المسلمين، ومن العرب الآخرين الذين ما نجحوا في إقامة دول ولا مجتمعات مستقرة، وبالطبع فهم يتحملون المسؤولية الأكبر".

وفي الختام قال الرئيس امين الجميل: "يومان من أصعب الايام على الجميع. نشكر من ساهم في هذا المؤتمر من متحدثين ومستمعين. استمعنا لكلام أساسي وكلام مؤسس تخلله كلام قاس ومن الضروري متابعة الجهد مع مركز القدس ونستخلص عبرا من هذا الكلام لنبني عليه ونستكمل البحث في هذا الموضوع. بخلاصة الكلام اريد الحديث عن ظاهرة في منطقة بفاريا في المانيا فسأل أحدهم عن سبب ذلك فقال ان الصلبان لا ترمز الى الدين انما ترمز الى ثقافة وحضارة وقيم. ونحن ايضا في العالم العربي علينا البحث برمزية هذا الأمر لانه بمعزل عن الانتماء الديني والعقيدة الدينية لدينا قيم مشتركة كثيرة تجمعنا أكان في الكتب المقدسة او القيم العربية او الأدبيات المستنيرة علينا الإنكباب على تعزيزها رغم كل المآسي المحيطة. هي مهمة صعبة ولكنها ليست مستحيلة".